

TIGHT BINDING BOOK

**UNIVERSAL
LIBRARY**

OU_190601

**UNIVERSAL
LIBRARY**

جنون ملی

تألیف

احمد سرفی بک

الى صاحب السمو الملكي

الأمير فاروق ولي عهد الدولة المصرية.

فاروق يا بنَ حَيْرِ أَبْ
أهدى السك والى
ومن يلى حيلك من
الكافلين السل من
الطائرين كالسور
المالئين الملك من
روايه من خُلق
بأنها السهل الى
تمل السد على
ولحمة من الحجا
فى حاطية على
وأرفع اسم فى العرب
أبسا حيلك البحر
نشر العد القطن الأرب
منبعه الى المصب
ر لدائرين كالشهب
كاتب ومن كتب
مهدب ومن أدب
بدائع الفصحى سب
عيد امية النحب
ر وهو فى عصر الذهب
نظم من الخلق عجب

(ب)

تَقِيضُ مِنْ بُطُولَةٍ	وَمِنْ قَوَافٍ وَخُطَمٍ
أَلَسَّهَا « مُحَمَّدٌ »	ثَوْبَ الْحَصَارَةِ الْقَشِيبِ
أَصْلَحَ مِنْ بُيَانِهَا	وَشَدَّةٍ مِنَ الطَّنْبِ
مَا كَانَ مِنْ حَيْرِهَا	أَفَامٌ ، أَوْ شَرِّ ذَهَبٍ

مَوْنِي

(ج)

مهرجيد

رمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

ماديه نحد

أشخاص الرواية :

قس	—	محنون ليلي
ليلي		
المهدي	—	أوليلي
ورد	—	زوح ليلي
ابن عوف	—	أمير الصدقات في الحجار وعامل مز
		عمال نني أمية
رياد	—	راوية قس وصديقه
منارل	—	غريم قس في حب ليلي
شر	—	رحل من نبي عامر

(د)

ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز

بصب — كاتب ابن عوف

سعد — رجل من بني عامر

الغريض — مغن مشهور

ابن سعيد — شاعر

أمية — رفيق ابن سعيد

الأموى — شيطان قبس

عسرفوت

هبيد

شياطين

عسر

عاصف

لمهاء — حارية قيس

عفراء — حارية ليلي

سلمى

فنيات من بني عامر

هند

عبله

رجال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدي في حي بي عامر — مجلس من مجالس
السمر في هذه الساحة — فتية وفتيات من الحي يسمرن في أوائل
الليل ، وفي أيدي الفتيات صوف ومعازل يلهون بها وهم يتحدثون —
تخرج ليلي من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها في يد ابن ذريح »

ليلي . دعي الغزل سلمي وحيي معي

منار الحجاز فتى يثرِب (١)

« تصافحه سلمي »

ويا هِنْدُ هذا أديبُ الحِجارِ

هَلُمَّ مَعِ قَدَمِهِ رَحْبِي

« تصافحه همد ويحتقن به السامرون »

سعد : أَمِنْ يَثْرِبِ أَنْتِ آتِ ؟

ابن ذريح : أَهْلُ مَنْ الْبَلَدِ الْقُدُسِ الطَّيِّبِ

ليلي : أَيَا بَنَ ذَرِيحٍ لَقِينَا الْغَمَامَ

وطافتُ بنا ففحاتُ النبي

هند :

« عله — هامة الى سعد »

مَنْ ابْنُ ذَرِيحٍ ؟

وَسَتِي ذِكْرُهُ

سعد :

على مَشْرِقِ الشمسِ والمغربِ

رَضِيعُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَتَرَبُّ الْحُسَيْنِ مِنَ الْمَكْتَبِ

« عله — الى ستر ومشيرة الى ابن ذريح »

أَتَسْمَعُ شَرُّ رَضِيعِ الْحُسَيْنِ

فَدَيْتُ الرَضِيعَيْنِ وَالْمُرَضِعَةَ

وَأَنْتِ إِذَا مَا دَكَّرْنَا الْحُسَيْنَ

تَصَامَمْتَ !

« بشر -- هامسا وملها كاتما يحشى أن يسمعه أحد »

لا حاهلاً مَوْضِعُهُ

ولكن أخافُ أمراً أن يرى عليَّ التشبُّعَ أو يسمعه

أَحَبُّ الْحُسَيْنِ وَلَكِنَّا لَسَانِي عَلَيْهِ وَقَلْبِي مَعَهُ !
 حَبَسْتُ لِسَانِي عَنْ مَدْحِهِ حِذَارًا أُمِّيًّا أَنْ تَقْطَعَهُ
 إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَّتْ فِي الْبِلَادِ

وَرُمْتُ النِّجَاةَ فَكُنْ إِمَّعَهُ !
 لَيْلَى : إِبْنُ ذَرِيحٍ نَحْنُ فِي عُرْزَلَةٍ فَهَلْ عَلَى مُسْتَفْهِمٍ مِنْكَ بَاسٌ ؟
 دَارُ النَّبِيِّ كَيْفَ خَلَفَتْهَا ؟

كَيْفَ تَرَكْتَ الْأَمْرَ فِيهَا يُسَاسُ
 ابْنُ ذَرِيحٍ : تَرَكْتُهَا يَالَيْلَى مَضْطُوطَةً يَحْكُمُهَا وَالٍ شَدِيدُ الْمَرَاسِ
 إِنْ حَدِيثَ النَّاسِ فِي يَثْرِبٍ

هَمْسٌ وَخَطْوُ النَّاسِ فِيهَا احْتِرَاسُ
 لَيْلَى : إِبْنُ ذَرِيحٍ لَا تَجْرُ وَاقْتَصِدْ أَحْلَامُ مَرْوَانَ جِبَالٌ رَوَاسُ
 يُؤَسَّسُونَ الْمُلُوكَ فِي بَيْتِهِمْ

وَالْعُنْفُ وَالشَّدَةُ عِدُ الْأَسَاسِ

« متضاحك الغيات وتقول احداهن لأخرى »

فَتَاة : لَيْلَى عَلَى دِينَ قَيْسٍ فَحَيْتُ مَا لَمْ تَمِ — لُ ؟

وكلُّ ما سرَّ قيساً فعند ليلي جميلُ

ابن ذريح: ما الذي أضحك مني الطَّيِّباتِ العَـمـرِيةِ

أَلَا نِي أَنَا شِيعِيٌّ وِلِي أُمِّـوِيَّةٌ؟

إِخْتِلَافُ الرَّأْيِ لَا يُفْسِدُ لِلَّودِ قَضِيـهَـ

ليلى : أَعْرِفْنِي سَمَاعَكَ يَا بَنَ ذَرِيحٍ وَلَا تَسْمِعِ الطِّفْلَةَ الْهَازِيـهَـ

أَتَيْتَ لَنَا الْيَوْمَ مِنْ يَثْرِبٍ فَكَيْفَ تَرَى عَالَمَ الْبَادِيـهَـ

أَكُنْتَ مِنَ الدُّورِ أَوْ فِي الْقُصُورِ

تَرَى هَذِهِ الْقُبَّةَ الصَّافِيـهَـ؟

كَأَنَّ النُّجُومَ عَلَى صَدْرِهَا

قَلَانْدُ مَاسٍ عَلَى غَانِيـهَـ

هند : كَفَى يَانَّةَ الْخَالِ ! هَذَا الْحَرِيرُ

كَبِيرٌ عَلَى الرَّمَّةِ الْبَالِيـهَـ

تَأْمَلْ تَرِ الْبَيْدَ يَا بَنَ ذَرِيحٍ

كَمَقَرَةٍ وَخَشَةٍ خَاوِيـهَـ

سُئِمْنَا مِنَ الْبَيْدِ يَا بَنَ ذَرِيحٍ وَمِنْ هَذِهِ الْعَيْشَةِ الْجَافِيـهَـ

ومن مُوقِدِ النَّارِ فِي مَوْضِعٍ

ومن حَالِبِ الشَّاةِ فِي نَاحِيَةٍ

وَرَاغِيَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْخِيَامِ

تُحِبُّ مِنْ الْكَلَأِ الثَّاعِيَةِ (١)

وَأَنْتُمْ بِيَثْرَبَ أَوْ بِالْعِرَاقِ أَوْ الشَّامِ فِي الْغُرُفِ الْعَالِيَةِ

مُغْنِيَكُمْ مَعِدَّةً وَالْغَرِيضُ وَقَيْنُنَا الصَّبْعُ الْعَاوِيَةِ

وَقَدْ تَأْكُلُونَ فُنُونَ الطَّهَاءِ وَأَأْكُلُ مَا طَهَّتِ الْمَاشِيَةِ

لَيْلَى : قَدْ اعْتَسَفْتُ هِنْدُ يَا بَنَ ذَرِيحٍ

وَكَاثَ عَلَى مَهْدِهَا قَاسِيَةٍ

هَما الْبَيْدُ الْإِلَا دِيَارُ الْكِرَامِ

وَمَنْزِلَةُ الذَّمِّ الْوَاقِيَةِ

لَهَا قُبْلَةُ الشَّمْسِ عِنْدَ الزُّرُوعِ

وَالْحَضَرِ الْقُبْلَةِ الثَّانِيَةِ

وَنَحْنُ الرِّيَاحِينَ مِلْءُ الْفُضَاءِ وَهِنَّ الرِّيَاحِينَ فِي الْآنِيَةِ

(١) الرَّاعِيَةُ : الْبَقَّةُ وَالثَّاعِيَةُ : الشَّاةُ

ويقتلنا العشقُ والحاضراتُ يقمن من العشق في عافية
ولم نصطدِم بهوم الحياةِ ولم ندر - لولا الهوى - ماهيه
وآنا نحف لصيد الأطباء وآنا الى الأسد الصارية

« هـد - ساحرة »

وفي كل ناحية شاعرٌ يغني ليلاهُ أو راويه
« محاول ليلي أن عد رحلها فتألم وتستعيث »

ليلى : قيسُ ، إلى قيس

هند : ما دهاك ليلي ما الخدر

ليلى : أحس رجلي حدرت حتى كأنها العَجَر

هند : قد صحت قيسُ مرتين

ليلى : أو ثلاثا ما الصرر

هند متهمكة : اسم الحبيب عندنا نذكره عند الخدر^(١)

ليلى : هند كفى دعاية إن هو الا اسمٌ حصر

« لنفسها »

(١) حدرت الرجل : نعلت

يا قيسُ ناجيَ باسمك القلبُ اللسانَ فـعـثـرُ

عبلة ضجرة : أما سوى هذا الحديث شاغلُ ؟

كف طللتَ اليومَ يا منازلُ ؟

« منازل — صاحبكا »

منازلُ اليومَ كأمس هازلُ شربُ أو يطعمُ أو يغازلُ !

هد : بنج ! كذا فلتكن الحياةُ مت يا بغيرُ واقفي يا شاهُ

أنعمت في الترف الرعاة !

ليلي : وكف طللتَ اليوم سعدُ ؟ أهازلُ

كبريك أم في صالح ورشاد !

سعد : بل الحدُّ ياليلي سيلي وديدني

حياتي بوادٍ والمخوفُ بواد

محبُّ زيادا طول يومي تلقفا

لأشعار قيس من لسان رباد

وإنَّ ربادا — منذ كان — لرائحُ

علينا بشعر العامريِّ وعاد

ولولا زيادٌ ما تمثَّلَ حاصرٌ بأشعارِ قيسٍ أو ترنم ناد

« يبدو على ليلي شيء من الرهو فتهايمن الفتيات »

سلمى : انطرى هند ترى ليلي اكنست رهوا وكبرا

وتعالت كابسة النعمان أو كابسة كسرى !

هند : لِمَ لا سلمى ، أَلَمْ يَرَوْعَ لها المجنونُ ذكرا ؟

عملة : لِمَ إذن يا هندُ من قيسٍ وما قال تبرا ؟

هند : عَبَثُ النَّسْوةِ إنا نحنُ بالنسوةِ أدرى !

سلمى : سلوا الآن بشرا فيم أهنق يومه ؟

سلوه

« أصوات »

هند : سلمى ياليلَ عن يومه بشرا

ليلى : وهل يومه الا شتوونُ كأُمسِه من الصيد ؟

هند : إن الصيد لذته الكبرى

بشر : نعم هو ملهاى الذى لا أمله

ولا النفسُ تُعطى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشي في قصور أمية
لعلمتُ فنَّ الصيد فتیانها الزهرا
وما أنا صيَّادُ الأرابِ مثلهم
ولكن على حياته ألجُ القفرا
ليلي : إذن هاتِ واصلقِ بشرى القول مرة
ولا تخترعِ أو تبني من حَجَرٍ قصرا !
بشر : دعي عنك هذا السُّخْرَ يا ليلَ واسمعي
ليلي : تحدثتِ فلا واللهِ لم أصغرِ السُّخْرَا
بشر : نكرتُ كدأبي اليومَ أبغى قنبصةً
ومن يتصيدُ يحسبُ الغنمَ والخُسرا
(رأيت غزالا يرتعى وسطَ روضة
فقلت أرى ليلي تراءت لنا ظهرا) (١)

« هند — مشيرة الى ليلي »

وأىَّ الليلى بشرُ آنست ؟ هذه
بشر : إذا شئت — أوهاتيكِ — أوحرةً أخرى

فقلتُ له ياظبي لا تخشَ حادثاً
 (فالك لي جارٌّ ولا ترهب الدهراً)
 (فما راعني الا وذئبٌ قد انتحى
 فأعلق في أحشائه النابَ والظفراً)
 (ففوقتُ سهمي في كتومٍ غمستها
 فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا)
 ليلي صاحكة : أخى بشرُ لا شلت يمينك من يدي
 ولا فضَّ فاك الصبحُ والليلُ ما كرا
 سمعنا بإقـدام اللصوص وقتكهم
 فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجراً !
 ووالله لم تعصب لطـيبي ولم تثب
 بذئب ولم تعمل خيالا ولا فكراً
 أخذتَ فلم تترك لقيسِ بصاعةً
 سرقتَ لعمرى الظبي والذئب والشعرا !

حديثُ الطَّيِّبِ والذُّبِ وقيسٍ لستُ أنساه
 زيادٌ عنه بآى ولا ينبيك إلاه
 رأى قيسٌ على رايضة ظيبا فناداه
 فأتى الطَّيِّبُ أذنيه ومسَّ الأرضَ قرناه

« ثم تقول في لوعة وصوت مخفوض وكأنا تحدث بها »

بروحى قيسُ أهل راحات طباء القاع تهواه ؟
 وهل يرى له الريمُ ولا أرثى لبلواه

« تسترسل في حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ نقايا صبغت فاه
 رأى في جيده قيسٌ وفى عييه ليلاه
 فينا هو فى الشوق وفى نشوة ذكراه
 حبا الذُّبُ من الوادى الى الطَّيِّبِ فأرداه
 تعدى بحشا الطَّيِّبِ غداة ما تهناه
 رماه قيس فى المقتل بالسهم فأصماه

« شر : مندفعاً بحماسة ! »

أجل ياليلَ ! ما قلتِ سوى شيءٍ شهدناه
 وإن لم تدكري القبرَ ولا كيفَ خططنا
 حفرنا القبرَ للظبيِ وقتنا فدفناه
 وصلينا على الميتِ وبالدمعِ مقينا
 فقولوا ولتقل ليلى معي يرحمه الله !

« أصوات - بين الصحك والسحرية »

أجل بشرُ !

أجلُ بشرُ !

أجل يرحمه الله !

ابن دريغ: بشرُ كفى هولا وتخليطا كفى

ويا بنةَ العمِ مصى الليلُ سُدى

أرسلنى قيسُ فلو أخذَ برتنى

متى منى بأمرِ قيسٍ يُعتنى ؟

بتنا نخافُ أن يجِلَّ خطبُهُ

وتبلعَ البلوى بـقيسٍ المدى

وقيسُ ياليلي وإن لم تجهلي زين الشباب وابنُ سيد الحمي
 لم ندر في حيك أو في حيه فتى حكاه سبا ولا غني
 ولا حمالا ، وهنا (ياليل) ما ترين أنت لا الذي نحن نرى

بشر ساخرا : بنح بنح ! ابن ذريح حاطب
 ابن ذريح : أسك فلت للمروءات أخا !
 ليلي عاضبة : فيم هذا الكلام يا بن ذريح ؟
 ابن ذريح : إتقى الله واقصدي في التجني
 ليلي : ما تحنيت

ابن ذريح : بل ظلمت ، دعيني
 أحس الذود عن صديقي وخدني
 ليلي : أنا أولى به وأحنى عليه لو يداوى برحمتي والتحنني
 يعلم الله وحده ما لقيس

من هووى في حوانحي مستكن
 إني في الهوى وقيسا ———
 دَن قيس من الصباية دَنِي

أنا بين اثنتين كلتاها النا ر فلا تلحني ولكن أعني

بين حرصي على قداسة عرضي

واحتفاظي بمن أحبُّ وصي

صنتُ منذ الحداثة الحبَّ جهدي

وهو مستهترُّ الهوى لم يصي

قد تغني بلياسة العيل ، ماذا

كان بالغيل بين قبس و بيني ؟

كل ما بيننا سلامٌ وردُّ بين عين من الرفاق وأذن

وتسمتُ في الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأني

« تهب بالسامريين وقد بلغ بها العصب أقصاه »

أوعل الليلُ فلنقم

ابن ذريح — متوسلا »

بل رويدا واسمعي (ليل)

خل عني دعني !

ليلي :

« تدخل خبائها بينما يعص السامرون فلا يتناقل منهم في القيام »

« الا مارل — الهرج والأسف يسودان الجميم »



قد تغى بليلة الغيل ماذا كان ماعيل بن قيس ويدي ؟
(صفحة ١٤)

بشر : انفضَّ ساءرُ ليلي وكانَ حَفْلاً كريماً
 سعد : قد فَضَّه ابنُ ذريح ففض عِقْدُ ——— دا نظماً
 أثار ليلي فهاحت كما تنفَّرَ ريمُ ———
 تُرى أَتُبْغِضُ قيساً ———

ابن ذريح : لا تَقْـلِبُوا الحَبَّ نغماً
 ليلي العِشَّةَ عصبى وَيُصْبِحُ الصَّبْحُ تَرْضَى
 سعد : أَنعم (مُنْـازِر) مساءً
 منازل : نَعِمْتَ سَعْدُ مساءً
 هند : بشرُ مُسَيَّتَ بحـير
 بشر : ألعى هندُ مساءً
 هند . نحن يحوينَا طريقُ
 فامضِ بِلَغَى الخِباءِ
 سعد — صاحبكا

احذرى يا هند منه !

هند : أنا لا أخشى اعتداء
 قد عرفتم وعرفند كيف يعطاد الظباء !

« تسمع ضحكائهم من أقصى الطريق بينما يظهر »
 « قيس وزیاد من جانب المسرح الآخر »

قيس . سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى

وما البیدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ

ملأتَ سماءَ البیدِ عشقا وأرضها

وحملتُ وحدي ذلكَ العشقَ ياربُّ

ألمَّ على أبيات ليلى بي الهوى

وما غير أشواقی دليلٌ ولا ركبٌ

وماتت خيامی خطوةً من خيامها

فلم يشفني منها جوار ولا قرب

إذا طاف قلبي حولها جنُّ شوقه

كذلك يطغى الغلة المهل العذب

يحن إذا شطت ويصبو إذا دنت

فيا ويح قلبي كم يحن وكم يصبو

وأرسلني أهلي وقالوا امض فالتمس

لنا قسا من أهل ليلى وما شبوا

عما الله عن ليلي لقد نوتُ بالذي
تحمّل من ليلي ومن نارها القلب

« منارل — وقد سمع همهمة الصوت ورأى شبحيهما في الطلام »

أرى شبحاً مقبلاً في الطلام	وأسمع همهمة في الدحي
هو ابن الملوّح دل الهزال	عليه وهم اضطراب الخطا
عدوى الميين وما بننا	ولا بين صاعيتنا ^(١) حفا
روى شعره البدو والخاصرون	وشعري لبس له من روى
وهام بليلى وهامت به	لقد كنت أولى هذا الهوى
تشرّد مستعطماً في البلاد	وجنّ فما ارداد الا هي
وإني لأبدي اليه الوداد	وأخفى له في الصلوع القلى
وأحسده حسداً ما علمت	أقسُ الشئى به أم أنا

« يتقدم منهما خطوات »

مَنْ الرّاكِبُ اللّيلَ ؟ قيسٌ أخى ؟

قيس . منازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

منازل : أقيساً أرى في طلال البيوت ؟

وعهدى بقبس حليف الفلا

قيس : منازل ، من أين ؟

منازل : من عندها من السمر الممتع المنتهى

قس - حنقا : أمن عند ليلى نحرُ الذبول

حديث لعمرُ أنى مفــــــــــــى

منازل : بل الصدقُ ما قلتُ يا ابن الملوِّح

قيس : إحساً متى قلت صدفاً متى ؟

وما كنت تصنع ؟

منازل - ساخرا : ما يصنعون لهوت لعمرى فيمن لها

وسامر ليلى كثير الزحام فليست تعدُّ شهاب الحمى

وليلي تُفيضُ على من تشاء رصاها ومحرمه من تسا

رياد مغضبا : منازل ، قدسُ ، سديك قيس !

وكلُّ لى تأديب هذا الفتى

« منازل — وقد أخذ بلايه »

تؤدبني زيادُ وأنت طل لحنون وراوية لهادى

وتزعمُ أننى نذُ لقيس

رضيت من المصائب غيرَ هذى !

زياد : من قال ذا ؟ أنت لقيس نذُ

لم يبقَ فيكِ يا حياءُ — اةُ حدُ

إمض بنا ناحيةً يا وغدا !

« يجره الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تحتفى »

« فيقبل قيس على حياء ليلي ويأدى »

قيس : ليلي !

« المهدى : حارحا من الحياء »

من الهاتف الداعى ؟ أقيس أرى ؟

ماذا وقوفك والفتيان قد ساروا

قيس خجلا : ما كنتُ ياعمُ فيهم

المهدى : دهشا : أين كنت إذن ؟

قيس : فى الدارحتى خلّت من نارنا الدار

ما كان من حطب جزلٍ بساحتها

أودى الرياحُ به والضيفُ والجار

المهدى مناديا : ليلي - انتظر قيس - ليلي

« ليلي - من أقصى الخباء »

ما وراء أبي ؟

المهدى : هذا ابن عمك ما في بيتهم نار

« تطهر ليلي على باب الخباء »

ليلى : قيس ابن عمي عندنا يا مرحبا يا مرحبا

قيس . مُتَّعَ ليلي بالحياة وَبَلَغَتْ الأربا

« ليلي : تبادى حاريتها بينما يختفي ابوها في الخباء »

عفراء

« عفراء ملبية بداء مولاتها : »

مولاتي

ليلى : تَعَالَى قَضِ حَقَّ وَجِبا

خذي وعاء واملئي به لابن عمي حطبا

« تخرج عفراء وتنسها ليلي »

قيس : بالروح ليلى قضت لي حاجة عرضت

ما ضرها لو قضت للقلب حاجات

مصت لأبياتها ترتاد لي قيسا

والنار ياروح قيس ملء ابياتي

كم جئت ليلى بأسباب ملققة

ما كان أكثر اسبابي وعلائي

« تدخل ليلى »

ليلى : قيس

قيس : ليلى بجانبي كل شيء اذن حضر

ليلى : جمعتنا فأحسنتم ساعة تقضل العمر

قيس : أتجددني؟

ليلى : ما فـ... دى حديد ولا حجر

لك قلب فسله يا قيس ينبئك بالخبر

قد تحملت في الهوى فوق ما يحمل البشر

قيس : لستُ لـيـلـى داريا كيف أشكو وأتفجر ؟
 أشرح الشوقَ كله أم من الشوق اختصر ؟
 نبئني قيس ما الذى لك فى البید من وطر ؟
 لك فيها قصائدُ جاوزتها الى الحضر
 كلُّ ظبيٍ لقيته صُغت فى جیده الدرر
 أترى قد سلوتنـا وعشقت المـها الآخر ؟
 قيس : غرتِ لـيـلى من المـها والمـها منك لم تغر
 حبب البید أنـهـا بكِ مصبوغةُ الصُور
 لستِ كالغـيـدِ لا ولا قمر البید كالقمر

« ليلي : وقد رأيت النار تكاد تصل الى كم قيس : »

ويحَ عيـنـيَّ ما أرى قيس !

ليلي

قيس :

خذ الحذر !

« ليلي : مشقة » :

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

هل تنفست في السحر	رُبَّ فجر سألته
حرّرت ذيلك العطر	ورياح حسبتهم
سرق عيناك الحور	وغزال جفونه
امت عاد على خطر	ليلى : اطرح النار يا فتى
كلك الأيمن اتشر	لهب النار قيس في

« قيس : مستمر بعد أن رمى النار من يديه : »

من أهلك الغي	وذئاب أرق باليل
في يدي الناب والظفر	أنست بي ومرغت
راحتاه وما شـ	ليلى : ويح قيس تحرقت
لاعج الشوق فاستعر	قيس : انت أججت في الحشا
تأكل الجلد والشعر	ثم تخشين جمره

« يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الانهيار » :

تكلّم، أبن قيس، ماذا تجد	ليلى : فدالك أبن قيس، ماذا دهاك؟
وساقى لا تحمّلان الجسد	قيس : أحس بعيني قد غامت

« يخرج صريعاً الى الأرض فتلقاه على صدرها صارخة »

ليلي : يا لأبي للجار قيس صريع النار ملقى بصحن الدار !

« يخرج أبوها من الحناء على صوت اسفائها »

أبي ها أنت ذا حئت أغثنا أنت أدرك

لقد حرق بالمار لما يصحوا إذا حرك

المهدي : يرانا الناس ياليلى

ليلي : أى أنف الناس من فكرك

هنا لا تقع العين على عيرى ولا غيرك

ولا يطلع إنسان على سرى ولا سر

ولا أجدر من قيس باشفاقك أو برك

أبي صدى لا يقوى فأسنده الى صدرك

« المهدي — وهو يلقى عنها حسد قيس ويحاول اعاشه »

رعاك الله ياليلى وكافاك على صبرك

أخاف الناس فى أمرى واخشى القلب فى أمرك

وكم داريت ياليلى وكم مهدت من عذرك



أبي هاأت ذا حت أغشا أت أدرك

(صفحة ٢٥)

ولست الوالد القاسى ولا الطامع فى مهرك

« يا حى قيسا فى غيوبة »

أنا المهدي عوفيت ويا بورك فى عمرك

أراني تسعرك الويل وما أروى سوى شعرك

كما لدد على الكره كلام الله للعشرك !

« محرك قيس ويبدو عليه كأنما يعيق قيسديه »

قيس

« قيس — محاول الوقوف فسنده لى »

لنك عم

المهدي : حسبك فادهم لا تطأ لى بعد العتبة دارا

ليلى : أنتى لا تجر على قيس

المهدي : لم لا إن قيسا على القرابة حارا

ليلى : أننى ما نراه كالعين الذاء

وى نحولا وكالمغيب اصفرارا ؟

وتأمل ردائه ويديه تحم النار أو تر الآثارا

أَبْقَى دَعَاهُ يَسْتَرْخِ

المهدى : بل دعينا

لا نزيدى يا لبل سخطى انفجارا

قيس : حسبُ يا ليلَ ، حسبُ دلا لعمى

وكفى حِلْفَةً اه واعتذارا

عمُ ماذا جنيت ؟

ليلى : ماذا جى قيس

المهدى : سیتَ الرُّوَاةَ والأخبارا

فبس : إهم يا عمُ

المهدى : والغيلُ أليلاً غَشِيَتْهُ أم نهارا ؟

ما الذى كان ليلة الغيلِ حتى

قلتَ فيها النَّسِيبَ والأشعارا ؟

قيس : لم تكنْ وحدَها ولا كنتُ وحدى

إنما نحنُ فتيمةٌ وعذارى

جمعتنا حمائلُ الغيلِ بالليلِ كما يجمعُ الحمى السُّمَار

ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترقنا ذهبَت يَمَنَةٌ وسِرْتُ يسارا
المهدى : إِمض يا قيس إِمض لا تكسُ ليلي

كلَّ حينٍ فصيحَةً وشناراً
فكأني بقصة النار تُروى وكأني بذلك الشعر سارا
وكأني ارتديتُ في الحى ذلاً وتجللتُ في القبائل عارا
إِمض قيس امضِ

قيس : عمُّ رفقاً بليلي وقيسٍ ولا تكن حاراً
الحذار الحذار من غضب الله ومن سُخطه الحذار الحذار
المهدى : إِمض قيس امض جئت تطلب ناراً

أَمْ تُرى جئت تُشعلُ البيتَ ناراً ؟

« يخرج قيس »

« متــــــــــــــــار »

الفصل الثاني

« طريق من طرق الفواول بين مجد ويشرب ، على مفرقة من حتى بي عامر حيث ،
« تندو مصارب هذا الحى على مدى البصر وعلى سفع جبل الوناد - قيس ورياد ،
« جلوس الى حدع نخلة ، يستشرفان شجعا يسير نحوهما »

قيس : رياد ما نلت ؟ من الجؤيريه ؟
أنتك (بلهاء) ؟

رياد : أجل قيس هته

« تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

قيس : بلهاء كيف الحى ؟ كيف أميه ؟
« بلهاء — وهى تصع القصعة »

تسأل عنك كما سألته

« تندو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

زياد : بالله يا قيسُ إلا أكلت

« يشد ميل قيس عن الطعام »

بلهاء هامة لزياد : زيادُ ما داق قيسُ ولا همتُ —

ولاحت له شاةٌ حثومٌ بموضعٍ

تَحِيلُهَا ظِلًا من الليل أو جُنْحًا

وقال اذبحوا هاتيك فالحير عندها

فقام إليها يافعٌ يُحسِنُ الذَّبْحًا

وقال انزعوا من جُتِّه الشاةَ قلبيها

فلم يَأَلُ قلبُ الشاةِ نزعًا ولا طرْحًا

فلما شويناها رَفَى بعزائمٍ

عليها وألقى في حوائِجِها المُلْحًا

وقال اطلبوا قيسًا فهذا دواؤه

كأني به لـا نناولُه صَحًا

زِيَاد : نَعْلٌ قَيْسُ بالشاة عساها تُدْهَبُ الحُبًّا

فما العَرَّافُ بالجهو ل لا علمًا ولا طِبًّا

ولم تَعْلَمْ عليه اليد تدحِيلًا ولا كَذًّا

طبيبٌ جرَّبَ الناسَ في الصحراءِ والرَّطْبًا

فدنى قَيْسُ ولا تَرْتَبُ بما قال وما بَبًّا

وتلك الأم يا قيس أطعمها تطعم الربا
 قيس : زياد اسمع وكن عوني وخلّ اللوم والعنبا
 إذا ما لم يكن بُدُّ فاني آكلُ القلب
 زياد : قيسُ يبعي القلبَ يلبها أين القلبُ أيننا ؟
 لبها : هو عندي ويسيرُ ما انتهى قيسُ علينا
 هو في الناء

زياد : هُلْمِي أحرّحى القلبَ الينا
 لبها : القلبُ ! أين القلبُ ؟ أين يا تُرْسَ وضَعْتُهُ ؛
 يا ويحَ لي ! نسيتُ أني يدي نزعته !
 قيس : وشاةٍ بلا قلبٍ يداووني بها

وكيف يُداوى القلبَ من لا له قلب !

« تسير بلهاء الى الحى ويظهر صفار من ناحية الحى بلهون في طائفتين وإذا تقع »
 « أبصارهم على قيس وزياد تنفى كل طائفة بعاء »
 « الطائفة الاولى »

قيسُ عُصفورَ البوادي وهـ زارَ الرّبّوات
 طرنَ من وادٍ لَوادِى وعمرتَ الفلوات



« وشاة بلا قلب یداوونی بها وکیف یداوی القلب من لا له قلب »

(صفحه ۳۳)

إِيهِ يَا شَاعِرَ نَجْدٍ وَنَجَى الظَّمْبَاتِ
أَضْمِرِ الْحَبَّ وَأَبْدِ لِأَعْفَ الْفَتِيَّاتِ

« الطائفة الثانية »

قَيْسُ كَشَفَتْ الْعِدَارِي وَاتَهَكَتِ الْحُرُمَاتُ
وَدَمَعَتْ الْحَيَّ عَارَا فِي السَّبَبِ الْعَارَاتُ
قَدْ دَكْرَتِ الْغَنَلُ دَعْوَى وَاصْطَبَعَتْ الْحُلُواتُ
صَلَيْتُ لِيلى بِلَوَى مَكَ دُونَ الْفَنِيَّاتِ !

« يلتقط قيس صبح حصوات من الارض وهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« وينثر الحصى من يده ، بينما يطهر من جاب الطريق الآخر اس عوف وكاتنه سيب »
« قيس : ما جيا معه »

قَيْسُ لَا ! سَامِحْ صَغَارَا لَا يُحْسُونُ الْخَطِيئَةَ
إِيهِمْ فِيمَا أَتَوْهُ نَعَاوَاتُ بَرِيئُهُ
لَقْنُوهُمُ الْكَلَابِ زَهَابِ أَوْ بَذْبُئُهُ

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إِذْهَبُوا عُودُوا إِلَى آبَائِكُمْ وَادْ كُرُوا قَيْسًا بِخَيْرِ يَأْخُبُثُ
إِذْهَبُوا أَوْحُوا إِلَى أَتْرَابِكُمْ وَلِيُبَلِّغْ حَدَّثًا مِنْكُمْ حَدَّتْ

سَيُظَرَّ الْحُبُّ عَلَى دِيَا كَمُو

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْحُبَّ عَبَثٌ

« يَجْرِي الصَّغَارُ أَمَامَ رِيَادِ مُصْطَرِّينَ ثُمَّ يَخْتَفُونَ عَنِ الْأَنْظَارِ ، بَيْنَمَا »

« يَسْتَلْقَى قَبَسٌ عَلَى الْأَرْضِ فِي شِبْهِ انْغَمَاءٍ »

اس عوف : اِلَى صَيْبٍ وَرِيَادٍ يَطَارِدُ الصَّغَارَ »

انْظُرْ نُصَيْبُ صَحَّةٌ وَصَدِيهِ وَرَحْلٌ يَرْمِي الصَّغَارَ بِالْحَصَا

صَيْبٌ . أَرَى أَمِيرِي نَشْأً تَعْلَقُوا

بِأَنْ سَبِيلٍ مُتَعَبٍ وَاهِي الْقُوَى

بْنُ عَوْفٍ : بَلْ أَمْضِ سَلْ

صَيْبٌ : مَعْرِصًا زِيَادَ »

مَنْ الْعَتَى ؟

رِيَادٌ : لِمَنْهُ وَفَدَ رَأَى اس عَوْفَ »

مَآذَا أَرَى ؟ هَذَا أَمِيرُ الصَّدَفَاتِ هَهُنَا

« ثُمَّ يَرُدُّ عَلَى صَيْبٍ »

قَبَسٌ إِمَامُ الْعَاشِقِينَ

بْنُ عَوْفٍ : أَفَهُمْ كَثِيرٌ ، كُلُّ قَبَسٍ بِهِ وَى

زياد : أَجَلٌ وَلَكِنَّ الَّذِي تُبْصِرُهُ
ابن عوف : لعله قيسُ الذي نَعَرِفُهُ
فأين ظله زياد

زياد . أنا ذا أنا الذي يتبعه حيثُ مشى
ابن عوف . أنت الذي تهدي لكل قرية

مُجَاوِةُ النحل ونفحةُ الرُّبَا
ما باله يطأ الترابَ حافيا
ويقطعُ البِيدَ مُمَرِّقَ الرِّدَا
خُذْ يَا نُصَيْبُ بُرْدَتِي فَعِطَّةً
لا يلحقنه من العُريِ أَدَى
زياد . إحفظ عليك البردَ يَا أَمِيرُ لَا
فقرَ إليه بابن سيد الحمى
يَفْنَى به العمرُ وما يُعْيِي البلى
إن لقيس من ثياب الوشي ما

« اس عوف : ماحيا نفسه »

يا ويح قلبي ما خلا من قسوةٍ
ما باله رَقَّ لقيسٍ ورثي

« يقل على قيس »

قيسُ بُنِيّ

زياد . هو في إغماءٍ من وجده وما أطنه صحا

« يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى »
 « يظهر الحادي ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت »
 « قليلا قليلا حتى يتقطع »

أشودة الحادي »

يا نَجْدُ خُذْ بِالزَّمَامِ	وَرَحْبِ
سِرِّ فِي رِكَابِ الْعَمَامِ	لِيَثْرِبِ
هَذَا الْحُسَيْنُ الْإِمَامُ	ابْنُ النَّبِيِّ
النُّورُ فِي الْيَدِ زَادُ	حَتَّى غَمَرَهُ
أُخِذُ الْحَيَاةُ الْوَهَادُ	أُخِذُ الْقَمَرُ
أُخِذُ بَجَالِ الْبَوَادِ	زَيْنَ الْحَصَرِ

ابن النبي

ابن عوف : ستمتمو ؟ يالك من	رنة حادٍ مُطْرِبِ
زياد . ياليت شعري ما الركا	ب مَنْ لَوَاهِ الْمَوْكِبِ
نصيب . قد بين الحادي قفل	أصمُّ أنت أم غـيبي ؟
هذا إمامُ العرب	هذا الحسينُ ابنُ النبي
هذا الزكي ابن الزكي	الطيبُ ابنُ الطيب

عارَضْنَا الحُسَيْنُ فِي طَرِيقَهُ لِيُثْرِبَ
هَذَا سَنَا حَبِينَهُ مِلْءُ الوَهَادِ وَالرُّثَى
قَدْ حَلَّ حَادِيهِ جَلَا لَ القَارِيءِ المَطْرَبِ

« ابن عوف هاما الى نصيب »

نَصَبُ صِهْ لَا تَسْلُكُنْ بِنَا مَسَالِكَ التَّهْمِ
وَلَا تَظَاهِرْ بِالْهَوَى لَوَارِتِ البَيْتِ العَلَمِ
إِحْذَرْ جَوَاسِيْسَ ابْنِ هَنْدٍ وَعيُونََ ابْنِ الحَكَمِ
نَحْنُ رِجَالُ دَوْلَةٍ قَوَّامَةٌ عَلَى الأُمَمِ
لَيْسَ بَعِينَهَا عَمَى وَلَا بَاذُهَا صَمَمٌ
تَسْمَعُ فِي ظِلِّ القُصُورِ هَمْسَ رُعيَانِ العُغَمِ

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زِيَادُ انْظُرْ فَمَا انْفَكَّ صَرِيحَ الوَجْدِ والذِّكْرِ
كَمَا مَرَّ بِنَا الرِّكْبُ الـحَسْبِيُّ بِهِ مَرًّا
فَلَمْ يَشْغَلْ لَهُ هَالَا وَلَمْ يَوْقِظْ لَهُ فَكْرَا

زِيَاد . رويدا سيدى مهلا وَلَا تَسْتَغْرِبِ الأُمْرَا



« صيب منه لا تسلكن بنا مسالك التهم ! »

(صحيفة ٣٩)

لقد سقناه بالأمس فحجَّ الكعبةَ الغراءَ
 فلما لمس الركنَ ومستَّ يدهُ السترا
 وقلنا الآنَ من ليلي ومن فتنها يبرا
 سمعناه ينادى الله من ساحته الكرى

اسعوف : ومادا قال !

رياد : ما تابَ من العشق ولا استرا
 ولكن قال ياربُ ملكتَ الخيرَ والشرأ
 فهاتِ الضرَّ إن كان هوى ليلي هو الصرا
 وإن كان هو السحرَ فلا تُطلنْ لها سحرا
 وياربُ هبْ السلوى لغيري وهبْ الصبرا
 وهبْ لي مَوْتَةَ الْمُضْنَى بها لا مِيتَةً أُخرى

« نقل على قيس ويميل عليه بجمان »

حنانك قيسُ إلامَ الدهول !

أفِقْ ساعةً من عواشي الخبلِ

صليلُ البغال ورَحْعُ الحُداءِ

وضجةٌ رَكْبٍ وراءَ الجبلِ

وحادٍ يسوق رِكَابَ الحُسَيْنِ
يَهْزُ الحِبَالَ إِذَا مَا ارْتَحَلَ
فَلَمْ يَبْقَ مَاشٍ وَلَا رَاكِبٌ
فَقُمُ قَبْسُ وَاضْرَعُ مَعَ الصَّارِعِينَ
وَأَنْزِلْ نَحْدَ الحُسَيْنِ الأَمَلِ

« يسمع صوت حاد آخر قادمًا إلى محمد من ناحية يثرب ، على
رأس فافلة أخرى وتمر هذه الفافلة كما مرت الأولى »

« أشودة الحادي »

لَا هَلَا هِيَا * إَطْوَى الفَلَا طِيًّا * وَقَرَّبَنِي الحَيَا * لِلنَّارِجِ الصَّبِ
لَا حُلَّ فِي البَيْدِ * شَحْنَةُ التَّرْدِيدِ * كَرْنَةُ العَرِيدِ * فِي المَنْزِ الرُّطْبِ
حَ أُمَ عَنِّي * أُمَ لِلْحَمَى حَيًّا * جُلُنْجُلُ رَنَّا * فِي شَعَبِ القَلْبِ
لَا هَلَا سِيرِي * وَامْضِي بَسِيرِ * طِيرِي نَنَا طِيرِي * لَلْمَاءِ وَالْعُشْبِ
رِي اسْتَقِي اللَّيْلَا * وَأَدْرِكِي الغَمَلَا * الْعَهْدَ مِنْ لَيْلِي * وَمَسِرَلِ الحَبِ
هَ يَا حَادِي * فَتَشَّ بَنُو نَادِرِ * فَالْقَلْبُ فِي الوَادِي * وَالْعَقْلُ فِي السَّعْبِ
قَمْرَا يَدُو * مَطْلَعُهُ نَحْدُ * فَدِ صَنَعَ الوَحْدُ * مَا سَاءَ بِالرَّكْبِ

« يهيق قبس ثم تلتفت مصعبًا إلى الحذاء »

قيس :

ليلي ! مناد دعا ليلي فحفة له
 ليلي ! انظروا البید هل مادت بأهلها
 ليلي نداء بليلى رن في أذني
 ليلي تردد في سمعي وفي خلدي
 هل المنادون أهلوها وإخوتها
 إن ينسركوني في ليلي فلا رجعت
 أعير لبلاي نادوا أم بها هتفوا
 إذا سمعت اسم ليلي ثبت من خللي
 كسا النداء اسمها حسنا وحببته
 ليلي ! العلى محنونٌ يُخيّلُ لي ؟

ابن عوف :

لا تكتتب وتعال يا قيس استرخ
 مما تكابد في الهوى وتلاي

قيس :

هل أنت آس يا أمير جراحتي
 أم أنت من سحر الصبا راق ؟

ابن عوف :

بل من رواتك قيس من زمن مصي
 لم أخل قيس عليك من إشفاق

محزون ليلي م — ٤

قيس :

قل للخليفة يا بن عوف في عد
هدرت حكومته دمي فتحرّشت
منذا أباح له دم العشاق ؟
بدم على سيف الحفون مراق

اس عوف :

أرصيتني عند الخليفة شافعا ؟ يا قيس

قيس : في أنه :

بل عند كيلي فامض فاشمع لي لدى
جئها فذكرها العهد وحفظها
ليلى إذا هي أقبلت حققت دمي
كرما وفككت يا أمير وثاقي
ليلى وناشد قلبها أوتواي
واذ كرها عهدي وصف ميثاقي

اس عوف :

الآن قيس اذهب فمدل حلة
فالصبح تدحل حتى ليلى فبس في
وترد غير ثيابك الأحلاق
ركبي وبين طائتي ورهافي

قيس الى زياد :

أسمعت ما قال الأمير ؟ زياد، طر
إذهب وسل أمي أعز ملابسي
واد كرها فصل الأمير، ولم تزل
نحو الحمى بجماحي المشتاق
من كل شامي وكل عراقي
نعم الأمير قلائد الأعناق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس بأس عوف كالطفل »

شكرا لصنعك يا أمير
ودُمت مقصودَ الرحاب
عجل أمير

أس عوف ضاحكا :	بل انتظر	أنسيت يا قيسُ الثياب ؟
قيس :	من مبلغ أمى الحزينة	أن عطفى اليوم ثاب ؟
	ومن الشيرُ اليك يا ليلي	بقيس في الركاب ؟
	اليوم أهلا بالحياة	ومرحباً بك يا شباب !

« ستار »

الفَصِيلُ الثَّالِثُ

« قطعة من الصحراء تبدو في يسارها طائفة من مصارب بني عامر »
 « ممتدة الى ما وراء اليسار على سمح جبل الوباد — حباء مضروب »
 « الى عين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية حيام الحى — على »
 « اليمين أشجار بات يقف في ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس »
 « ورياد »

ابن عوف: تراءى الحى للركب	وأشرفنا على الشعب
أفق قيس أما فى رؤ	ية الخيمات ما يصبى !
ألا تهتف بالشكوى	الى ليلى وبالعتب
قيس: ديار الحى من ليلى	سلام من شج ص
على الحى على الدار	على ليلى على الحب
غدا الركب على طيب	كريح المندل الرطب
فيا ليلى عسى اليوم	أبل الشوق بالقرب
عسى الخطبة لا تنزل	فى ناديك كأنخطب
عساهم لا يقولون	فتى مشترك اللب

ولا يذهبُ إحسانى ولا يذهبُ سوى ذنبى
يقولون بها غنى لقد غنيتُ من كربى
سلى تُردك كم مرّعت خدّى على الثوب
وكم جُدتُ على الرمل ولم أُنخلُ على العُشب
بدمعٍ متل دمع النُّكل مغرورٍ من القلب
« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

اس عوف: قيسُ انتبه قيس

قيس : من المنادى !

اس عوف : الحى فى السلاح سدّ الوادى
وأب قيسُ بعد حينٍ غاد على خصومٍ لدِّ شِدَاد
فالقَ الرجالَ صاحى الفؤاد لا تلقهم مُصيعةَ الرِشَاد
« قيس : متطلعا كذلك »

أُبصِرُ يا بنَ عوفٍ حى ليلي تدجّج فى السلاح ولا تراها !
فما لى لا أُحقِّقُ غيرَ ليلي وإن كثر السوادُ لدى حماها
لقد ألقى هوى ليلي حجابا على عيني فليستُ أرى سواها
وبغضتُ النصيحَ الى ليلي وسدّ مسامعى عنه هواها



« أتبصر يا بن عوف حتى ليلى تدجج في السلاح ولا فراهما ؟ »

(صفحة ٤٧)

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لجب وقعقة »
 « سلاح ويقترب الصوت ويتمالى شيئاً فشيئاً »

أرى حى ليلي فى السلاح ولا أرى سلاحا كهجر العامرية ماضيا
 دى اليوم مهدور ليلي وأهلها فداء ليلي مهدرات دمائها
 لى الله! ماذا منك ياليل طاف بى وما ذلك الساقى وماذا سقانيا!
 دعونى وما عندى ليلي أقوله ليلي واسنشى الذى عندها ليا
 أهيم فاستعدى نهارى على الحوى وأقبع ليلي أستجير القوافيا
 (فما اشرف الأيفاع الا صابئة ولا أنشد الأتعار الا تداويا)
 إذا الناس شطر الببت ولو أوجوههم — م تلمست ركنى ببتها فى صلاتيا
 (أصلى فما أدرى إذا ما دكرتها اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا)
 توارت وراء الجمع ليلي فخانها فم كأنسام الصبح يأتى التواريا
 وطيب به خست حوى الطيب كل — فقله الا حى أوقله الفواغيا
 فأحسست من فرعى لسافى هزة كأن عياناً منك لاقى عيانيا
 دعونا وما يبقى إذا ما فنيتموا فوالله ماشى خلا الحب باقيا
 مشى الحب فى ليلي وفى من الصبا ودب الهوى فى شاء ليلي وشائيا
 وإنى ولىلى للأواخر فى غدٍ لشغل كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترشح فيلتقاء »

« زياد — تسمع أصوات الحمى من قريب »

ابن عوف: زيادُ أدركهُ أدركُ إني أرى الداءَ عادَهُ
لقد تصاءل قسٌ واصفرَّ مثلَ الحراده !
وليس قسٌ بملقٍ إلا إلـك قياده
الآن أسعى لقسٍ سعبا أحافُ فسادَه
مِلْ ننا و تقسٍ حتى يُصب رتادَه

« يحملون قيسا ويحفون به وراء شجر »

« الآن ، وتظهر طلائع الحمى من اليسار وعلى »

« رأسها المهدى وممازل ، وكاهن شاكي السلاح »

المهدى :

يا قومُ إن البغيَ شرٌّ مركبُهُ والخيرُ في حانف من يُجنُّهُ
هذا ابنُ عوفٍ قد أطل موكبُهُ وإن قيساً في الرِّكاب يصحُّهُ
جاء يرومُ صهرَكم ويخطُّهُ وقد علمتمُ كيف ساء مذهبُهُ
وكيف طال بابنتي تشبُّهُ

صوت : كله الى سيوفنا تؤدُّبه لقد وحدناه وكنا نرقبه

المهدى : لا ، دم قيس دُمنا لا تَقْرَهُ يكفيه منا أننا نُخَيِّتُهُ
ونَصْرِفُ الأميرَ عما يطلبُهُ

صوت آخر: شيخ الحمى لا تضعف ولا ترددْ وقف
ذُذْ عن عقيلة الحمى وامنعْ حياضَ الشرفِ
لا تُصعِرْ للشافعِ في قس ولا المستعطِفِ
لبس ابن عوفٍ في الذي سعى له بالمنصفِ
أنا الأمير بعد ما أचार قيسا تحتفى !
لا تخشَ نأسه ومن رجـاله لا تخف
نحن كعثمان وليلى سننا كالمُصحفِ

« يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجر ومعهم رباد »

ابن عوف : عمُّ أبا لبلى صباحا
المهدى : عمُّ صباحاً يابنَ عوف
ابن عوف : قل لهم يُلْقُوا السلاحا ليس ذا موطنَ خوفٍ
صوت من الحمى :

يا بنَ عوفِ يا أميرَ ليس ذا شأَنَ الوُلاةِ

كيف تحمى وتُجِيرُ مُسْتَيْحَ الحُرُمَاتِ ؟
 امن عوف : عامرُ يا أحوِدَ البِطَاحِ وأَسْمَحَ الناسَ بَطونَ راحِ
 مالى وللسيوفِ والرماحِ ؟ ضيف أناوما ومن السَّماحِ
 رَدَكُوحَةَ الضيفِ بالسلاحِ ماجئُكم يا قومُ للكفاحِ

بل حثتُ للتوفيق والإِصلاحِ

« تحدث ضجة في جانب الحى وتصايح وتهاس »
 « ثم يلقى كثير منهم السلاح ويفقد السيوف »

صوت من الحى :

يا أنا ليلي بليلى حُدْ لقيسٍ بالحياة
 إنه شاعرٌ نجمٌ وَبَجِيءُ الطَّبِيَّاتِ
 صوت آخر : قيسُ أخُ وابنُ عمِّ وليس أهلاً لذمِّ
 نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم
 هبوه جُنَّ ليلي ليس الغرام مجرم

« منازل : حيث يستقبل الجمع خطيباً »

إن قيساً معشرَ الحى أخُ وابنُ عمِّ أَمْنُهُ تَبْرأون ؟

أصوات : لا ورب البيت

ثم ظنوا كيف شئتُم بي الظنونُ
لا يُجارَى أفاَتُم مُنكَرونُ ؟

منازل : أصغوا لي إذنُ
إن قيساً شاعرُ البید الذي

أصوات : لا ورب البيت

ثم طنوا كيف شئتُم بي الظنونُ
وابنُ سادات ، أفيه تمترون ؟

منازل : أصغوا لي إذنُ
إن قيساً سيدٌ من عامرٍ

أصوات : لا ورب البيت

ثم ظنوا كيف شئتُم بي الظنونُ
ولنجدي أبقيس تكفرون ؟

منازل : أصغوا لي إذنُ
إن قيساً قد بنى المحد لكم

أصوات : لا ورب البيت

ثم طنوا كيف شئتُم بي الظنونُ
أو آنتم على قيس الجنون ؟

منازل : أصغوا لي إذنُ
إن قيساً كاملٌ في عقله

أصوات : لا ورب البيت

ثم طنوا كيف شئتُم بي الظنونُ
لا ولا أتم بقیس تعدلون

منازل : أصغوا لي إذنُ
أنالُم أعدِل بقیس شاعرا

أصوات : لا ورب البيت

منازل :

أصعوا لي إدف
 أنا في ودي وإعجاني به
 شعره يبقى ويهني غيره
 شعر قيس عبقرى حالد
 ولو أن المتحنى شاعر
 رب شعر قال في ليلي ، به
 إني أخشى عليكم عاره
 ضجرت ليلي وصجّت أمها
 وغدا كل فتى من عامر
 ثم ظنوا كيف ستتم بي الظنون
 لا يدانيني الرواة المعجبون
 ليس كل الشعر ترويه القرون
 ليته لم يتحلله المجون
 غير قيس أوشك الخطب يهون
 هتف البدو وضج الحاضرون
 رب عار ليس تمحوه السنون
 وأبوها وتأدى الأقربون
 حين يلقى الناس ، محني الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ما قلت

منازل : إدف ما بالكم
 هو ذا قيس مع الوالى أتى
 وأبو ليلي امرؤ أدرى له
 لم تشوروا ، ما لكم لا تفضبون ؟
 يطأ الحى وأنتم تنظرون
 رقة القلب وأخشى أن يلين

ومن الحى بليلى يخرجون
أن قسأهتك الخدر المصون
مالدى أتم بقيس فاعلون!

إن بالسوط يُرَى الماجنون

بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم
آن يا قومُ لكم أن تعلموا
قيسُ لم يترك ليلي حُرمةً

صوت : ماجنٌ لا بدَّ من تأديبه

صوت آخر :

صوت : بأحدُ الحى عليه

دون ليلي وحماها كالحصون
دم قس ما الذى تنتطرون!
دمه

ولنقف

آخر :

مازل : حلَّ السلطان بالأمس لكم

صوت : حلَّ السلطان بالأمس لنا

إيا بقيس فاتكون

« أصوات أخرى »

« ضجيج واندفاع »

رفعت قيساً فجعلته القمر
كفعل جزار اليهود بالبقر

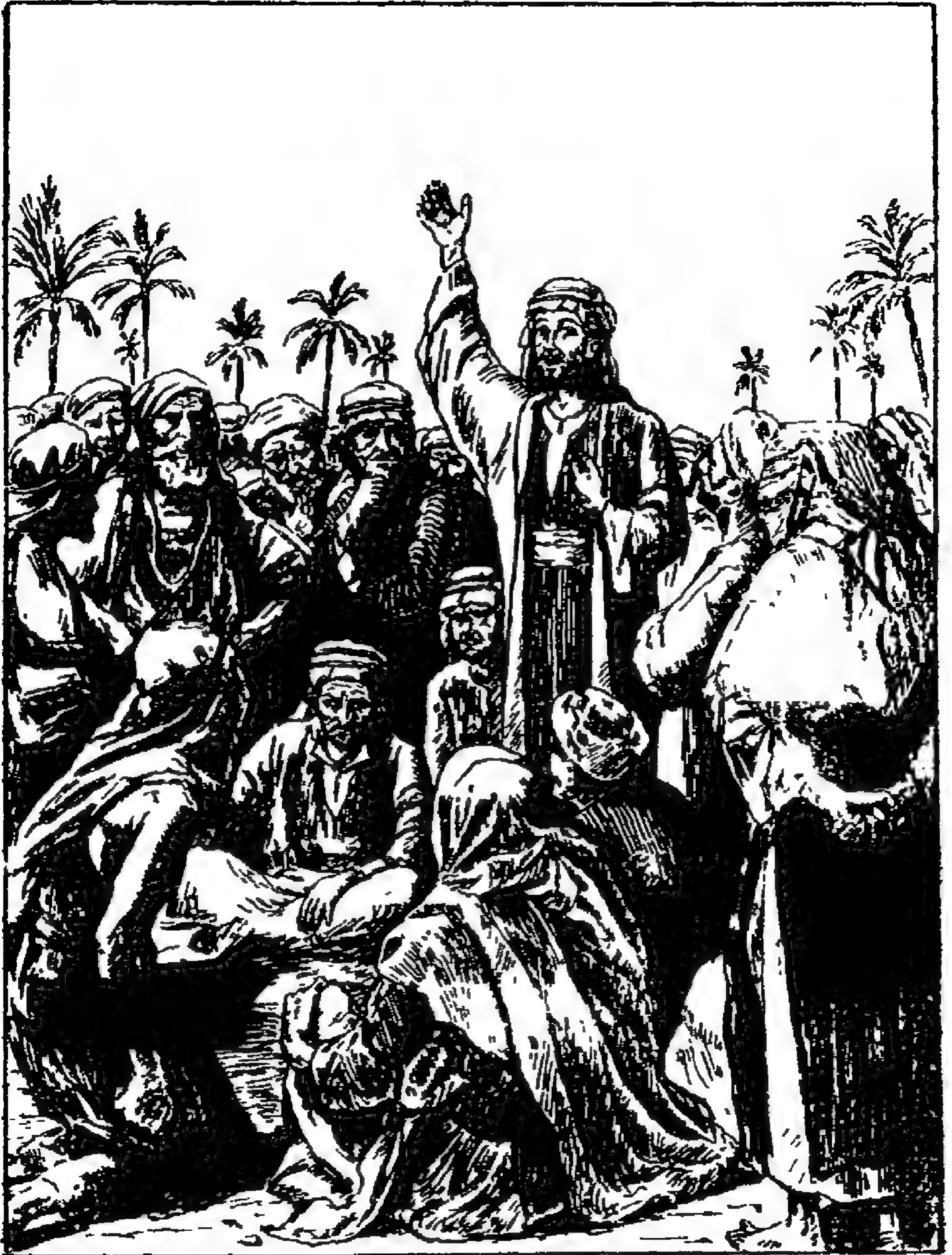
صوت : مُنازِ يا بنَ العمِ ما هذا الخبرُ!

والآن أغريتَ بقتله الزُّمرُ

برأها من العيوب وعقره !

« يصعد بشر مبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس »

قائل : إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ وخطيب



• « حل السلطان بالأمس لكم دم قيس ما الذي تنتظرون ؟ »

(صفحة ٥٥)

يسأل أحدهم: ليت شعري من يكون!

آخر : أو أعمى أنت هذا شرُّ

آخر : هل يحسن الخطبة بشرُّ ويُبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

شر :

قف منازل اسمع سمعت الرعد من حابي صاعقة فيها المنون

وسمعت الذئب في جَوْز الفلا وسمعت الليث في جوف العرين

أخطيب أنت أم خطب وإن لم تهن والخطب أحيانا يهون

سارل صائحا: بشر . . .

شر : قف !

نارل :

مالك يا بشرُ ولى ؟ إر حرب الأهل والصحب جنون

شر :

لم إذن حاربت قيساً لم تصن حرمة ابن العم أو حق الخدين؟

سارل : قلتُ بشرُ الحق

شر : خل الحق ما أنت والله على الحق أمين

إنما أنت لقبس حاسدٌ منطوى الصدر على الحق المهيّن
 كلما حدثت عنه عامراً قرأت في وجهك الداء الدفين
 ترسل الرفرة نتلو أختها وتنفس الصدر من حين لحين
 يا مناز يان عمى أصع لي
 أنت دون أنت دون أنت دون !

منارل : دعوني

سر من السر : دعوني فلا بد لي

رحل : أنا تَك لا بد أن أقتله

منارل : دعوني

شر : دعوني

رجل : دعوه اتركوه

آخر : ومن كثف الندل أو كتله ؟

مازل : دعوني

رجل : دعوه

آخر : كلا البطلين يقول الوعيد ولن يفعله

شر : دعوني

رجل : تقدّم

منارل : دعوني

رجل : انطلق

شر : دعوني

رجل : حنه

منارل : دعوني

رجل : إمش له

آخر : تنجّوا وحلّوا سبيلهما ولا تخشوا الوقعة المقله

شر : منارل في عقله كمال

منارل :

شر : أنزرو على الحيّ برّ و الدينوك

وتملق رأسي كرمّانة

وماذا يردّ عليك العويل

رياد : منازل كنت كثير الكلام

ووالله ماقلت الا الكذب

صوت : أترعمه كاذبا يازيادُ وقــد زاد عن حُرُمات العرب ؟

رياد : رويدك لا تنخدع يا فتى ولا تأخذ الأمر دون السبب

فلم يبع الا خداعَ الجموع وجلبَ الطنون وخلقَ الرِّيبَ

وأثرَ فيكم وفي آخرين وأفرغ فيكم سُومَ الرُّقُبِ

صوت : منارلُ دافعَ عن سُنَّةِ مُعظَمَةٍ من قديم الحِقَبِ

رياد : تأمل منازلُ سُخْطِ الجموع وحهلكَ ماذا عليهم جلبُ !

أحلَ قد غصتَ ولكما لنفسك لبسَ ليلي الغضبِ

تحضُّ على قتلِ قسِّ الرحالِ لتعطى ليلي إذا ما ذهب

أصوات : يُريدُ ليحظى ليلي ؟

زياد : نعم !

تكلّم

أبن

صوت :

صوت آخر :

ثالث : إن هذا عجب !

زياد : ألمْ يَكُ يَغشَى النَّدَى ويطلبُ ليلي أشدَّ الطلب ؟

« صوت يحاطب المهدي »

إذن كان يحطبُ ليلي؟

المهدي :

نعم !

صوت :

إذن قد تجبى

صوت آخر :

إذن قد كذب !

زياد : منازلُ قل لهُموم صرء تاليلي وكم أعرست لم تُجب

صوت : منازلُ احدع وغشَّ غيرى

آخر :

قد حاز الا على كذبك !

ثاك : ما أنت إلا جو شقي تحب ليلي ولا تحبك !

« تحدث صيحة حول منازل ويقف ثلاثة رجال في ركن قصي من أركان المسرح »
« يتحدثون »

الأول : قد اختلف الحى في أمر قيس ويلي وكل له مذهب

وأنت الى أى رأى تميل وأى الفريقين ستصوب

الثانى : إذا صدقت نظرتى في الأمور ولى نظرة قلما تكذب

منازلُ غادِ على خيبة وقيسُ على فضله أخبب

وقد يُحققان ويلقى النجاح غريب له فيكمو مأرب

الاول . غريب ؟

الثاني . أحل من نواحي ثفيف

الاول : ومن داك ؟

الثاني : ورد

الاول : وما يطلب !

الثالث : رأبته في الحى يمشى الحياء

الاول : وللى ابنة الشيخ ما رأيها

الثاني : أراها وإن لم نخط الشاب

تصون القديم وترعى الرميم

والجـاهـليه إعجابها

وهن سنة البيدهض الأ كفت

فلا تعجبوا إن جرى حادث

وإن رصيت ورد بعلا لها

فيا طالما التمت مهرا

مبارك : بى عامر لا تضيعوا الحلم

فان الأناة بكم أجمل

وفيل أتى عامرا يحط

أمامن حساب لها يحسب؟

عجورا على الراى لا تغلب

وتعطى التقاليد ما توحب

إد قل بالسلف المعجب

من العائقبين اذا شئتوا

يحدث عنه ويُسْغَرِب

وقس الأحت لها الأقرب

وأرض ثفيف هى المهر

أَجِدُّ وَصَاحِبُكُمْ يَهْزِلُ
وَمَا لِي يَا فَوْمُ لَا أَفْعَلُ
أُصِيقُ ، عَسَى فِي عِدَّةِ تَبَلٍ
وَلَا هُوَ خَبَرُ وَلَا أَفْصَلُ
نَقِيسٍ قَدْ سَأَلَ الْمَرْبِلُ !
وَمَنْ هُوَ مَنْ نَافِلٍ أَفْلُ !

سَتَعْلَمُ مِنِّي مَا نَحْمِلُ
وَوَدَّعْ صَلَوَعَكَ وَانْعَ الذَّرَاعُ

سَأَلْتَ مَا أَتَى ؟ فَأَصْعِرْ رَاعٍ

إِنِّي أَنَا مُزَقُّ الْأَضْلَاعِ !

« ثُمَّ يَحْرَهُ مِنْ دِرَاعِهِ وَيَمْضِي بِهِ إِلَى حَارِجِ الْمَسْرَحِ »

صوت : مَاذَا يَكُونُ يَا تَرَى ؟

هَيَّوُوا نَرَى هَيَّوُوا نَرَى

آخر :

« آخِرُ وَهُمْ تَدَافِعُونَ »

هَبُوا لِي آذَانَكُمْ إِنِّي
خَطَبْتُ وَأُخْطِبُ لَيْلِي عِدَا
وَقَدْ نَعْرِضُ الْيَوْمَ لِبَلِي فَلَا
ثُمَّ قَيْسُ أَحْدَرُ مِنِّي هَا
رياد : إِلَيْكَ مَنَارِلُ ! لَا تَقْرُبُ
وَلَا يَسْنُوِي الشَّاعِرُ الْعَبْرِي
منارل : وَمَا أَتَى ؟ دَيْتْ لَنَا يَا زِيَاد

« رِيَاد — مَسْكَا بَدْرَاخِ مَنَارِلِ »

هَلُمَّ مَنَارِ . هَلُمَّ الصَّرَاعُ !

منارل : خَلِّ زِيَادُ حَلِّ عَنْ ذِرَاعِي

رياد :

زِيَادُ غُـ _____ يَرُ هَازِلُ

آخر : نوحوا على منـازل

آخر : حمـامةٌ وبارى !

آخر : هلكت يا منـاز !

آخر من بعيد : إهـرب من الـرازِ

« يخلو المـرح الآن الا من المهدى واس عوف »

« وانصـيب ثم تـسمع صـرحة من وراء الشجر »

مهدى : ما بـقيس يا بن عوف ؟

ابن عوف : انه مـغـمى عليـه

مهدى : قيسُ لا نـأسَ عليـك كـبروا في اذنيـه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سدِّي كـبروا ما اذُنُ قيس مـفـيـقـةٌ وإن سـكـبوا فيـها أذانَ بـلال

واـكـن على ليلي يـفـيـقُ وشـبـهـها إذا ما بدت ليلي بـشـكـلِ غـزال

ويـصـحو على ليلي إذا ردّ داسـمـها وراء بُيوت أو وراء رِحال

للهدى :

دَمُ الْوُدِّ وَالْقُرْبَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا
وَإِنِّى لَأَنسَانٌ وَإِنِّى لَوَالِدٌ
فَرَقًا بَقِيسٍ يَا أَمِيرُ وَنَحَّه

ابن عوف :

أَنَاةً أَبَالِيلِي وَحِلْمًا وَلَا يَكُنْ
رَدَدْتُمْ رَكَابِي وَاتَهَمْتُمْ زِيَارَتِي
تَأْمَلُ تَجِدُ جَعَامَ غِيظًا وَكَثْرَةً
رُءُوسٍ تَنْزَى الشَّرُّ فِيهَا وَرَاءَهَا
تَطَلَّبُ أَنْ يُلْقَى إِلَيْهَا بِحُثَّةٍ
نَوَاطِرُ مَا يَأْتِي بِهِ الْيَوْمُ مِنْ دَمٍ
نَزَلْتُ فَلَمْ أَكْرَمْ فَهَلْ أَنْتَ مُتَّبِعِي
أَبَيْتُمْ عَلَى الْقَوْلِ قَبْلَ اسْتِمَاعِهِ
فَهَلْ لِي أَبَالِيلِي بِنَادِيكَ وَقَفَةٌ
وَمَا أَنَا مَرَّةً السُّوءِ أَوْ رَجُلُ الْأَذَى

عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاهُ يَسِيلُ
وَلِي مَذْهَبٌ فِي الْوَالِدِينَ جَمِيلُ
بَعْدًا لَعَلَّ الشَّرَّ عَنْهُ يَزُولُ

عَلَيْكَ لَطْفِيَانِ الطَّنُونُ سَبِيلُ
وَأَجْلِبَ فِتْيَانٌ وَضَجَّ كَهُولُ
تَصُولُ وَمَا تَدْرِي عِلَامَ تَصُولِ !
نَعُوسُ دُثَابٍ مَا لَهْنُ عَقُولِ
عَلَى غَيْرِ حَوْعٍ أَوْ يُسَاقَ قَتِيلُ
وَإِنْ لَمْ يُسَاوِرْهَا صَدَى وَغَلِيلُ
وَقَوْمُكَ نَارَ الطَّرْدِ حَبِى أَمِيلُ ؟
فَلَمْ تُنْصَفُوا وَالْمُنْصَفُونَ قَلِيلُ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ حُتُّ فِيهِ جَلِيلُ
وَلَكِنْ سَفِيرٌ خَيْرٌ وَرَسُولُ

ولم آتخذ حاه الأمور ذريعةً ألا إنما حاهُ الأمور يزول

المهدى :

تقبتم محر يا وُلَاةَ أُمِيَّةٍ ولا زال يقوى ركنكم ويطول

« مشيراً الى باب الخلاء »

هنا مجلسٌ ناوٍ اليه لعلى أقولُ صواناً أو عساک تقول
وتمَّ ترى ليلي وتسمعُ قولها وليلى لها رأىٌ يُساقُ حميل
فعلها عسى أن نهتدى ما حواها إباء وردُّ أو رضى وقبول

« يهيم ابن عوف نخلع عليه »

المهدى : أتخلعُ عليك؟ لا يا ابنَ عوف نَشَدْتُكَ بالله لا تفعلِ
أتمشى الى مرمى حافيا فديتُك ، من أنا؟ ما مرمى؟

ابن عوف :

خلعتُهما وانتعلتُ الترابَ الى حَيْمِهِ السَّيِّدِ المِفْصِلِ

« أصيب : متدخلا »

دعهُ يا مهدىُ يفعل إنما يَرْمِي لِمَعْنَى
كالْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ هو بالعشاقِ يُعْنَى

الحسينُ انتعل الترتَ الى والد لُمَنى
 فرآه حافيا فى سا حة الدار فُجُنا
 قال لا أملك يابن المصطفى بدتاً ولا ابنا
 أنت فى الدار أميرُ فبا سئتَ هُمرنا

« لعمري »

يادهر دُرُ بـما تشا وياحوادبُ اهرلى !
 ويا وظيفةُ اعربى ويا حرايةُ اردلى
 يبعى ابنُ عوفٍ أن يكو ن كالحسين من على !

« يدخلان ويأدى المهدى : »

هو الضيفُ ياليلَ هانِ الرُّطْبُ وهانى الشَّواءَ وهاتى الحلبُ
 وهاتى من الشهد ما يُستَهى ومن سَمْنَةَ الحى ما يُطَلَّبُ
 فما هو صيفُ ككلِّ الصيو فولكن أميرُ كريمُ الحسبُ

« ليلي من وراء حجاب »

أبى ألف لبَّيك !

ابن عوف: لا بل قفى فما بى ظمأ ولا بى سعبُ

وأَعْلَمُ أَنَّ الْقِرَى دِينُكُمْ وَأَنْتَ أَبَاكَ جَوَادُ الْعَرَبِ
ولكن طعامي

المهدي : ماذا ؟ اقترحْ

ابن عوف : طعامُ الرسول بلوغ الأرب

المهدي : إِنْ قَفَى لَيْلَى اقْرَبِي -

« تطهر ليلي من وراء الستر »

تَقْدِمِي وَرَحْبِي

حلَّ ابنُ عوفٍ دارَنَا

ليلى : أَكْرَمُ هـ وَأَحْبَبُ !

قد رارنا الغيثُ فأهلاً بالغمام الصَّيِّبُ

ابن عوف : أهلاً بليلى بالجمال بالحسبي بالأدب

عشتِ قيساً فلقد نوَّهتما بالعرب

« ليلي — بين الحمل والغصص »

أَتَقَرُّنْ قَيْساً بِنَا يَا أَمِيرُ ؟

ابن عوف : ولمْ لا وقد جئتُ من أجله

واعطف شكلاً على شكله
وما زال يجمعُ في حبله

ومن أنا حتى أضُمَّ القلوبَ
لقد جمعَ الحبُّ رُوحيكما

« ليلي : في اسحياء »

أجلُ يا أميرُ عرَفتُ الهوى

ابن عوف :

فهلّا عطفَتِ على أهله ؟

« يلتفت الى المهدي »

يقول وينطقُ عن نُبْلِهِ
ولا يسعَ ظلمك في قتله
متى حاز شيخٌ على طفله ؟
خُذِي في الخطابِ وفي فصله

أنا العامرُ بقرِ قلبُ الفتاةِ
فأصعِرْ له وترققْ به

المهدي : أأظلم ليلي ؟ معاذَ الحنان !
هو الحكمُ ياليلَ ما تحكين

ليلى : أقيساً تريد ؟

ابن عوف : نعم

مُنَى القلبِ أو مُنتهى شُغْلِهِ
وتمشي الظنونُ على سِدْلِهِ
وينظرُ في الأرضِ من ذلِهِ

ليلى : إنه

ولكن أترضى حجابي يذالُ،
ويمتني أبي فيغضُّ الجبينَ،

يدارى لأجلى فضول الشيوخ، ويقتلني الغم من أجله
 يمينا لقيتُ الأمرين من حماقة قيس ومن جهله
 فضحتُ به في شعاب الحجاز وفي حزنٍ نجد وفي سهله
 فخذ قيسُ ياسيدي في حماك

« في حياء وإفاء »

ولا يفتكر ساعةً بالزواج ، وألق الأمان على رحله
 ولو كان مروان من رسله

ابن عوف:

إذن لن تقبلي قيساً ولن ترضي به بعلا
 إذن أخفق مسعاً وخاب القصد باليلي
 ايلي : على ألك مشكورٌ ولا أنسى لك الفضلا
 وأوصيك بـقيس الخـير لا زلت له أهلا
 لقد يُعوزُه حامٍ فكُنْه أيتها المولى

« نلتفت الى أبيها وكأنا نحاول »

« أن تحبس في عينها دموعا »

أبي كان ورد ههنا منذ ساعةٍ فقيم أتى ؟ ما ينتفى ؟

حاء يُخَطَّبُ

المهدي :

ابن عوف: ومن وردُّ ياليلي وهل تعرفينه ؟

ليلى : فتي من ثَقِيفٍ خالِصُ القلبِ طَيِّبُ

أُتِيَ خَاطِباً بعد افتضاحي بغيره وعاري، أهذا يابن عوفٍ يُخَيَّبُ؟

أبي : أين وردُّ الآن ؟

المهدي : عند قرابةٍ من الحيِّ صمَّوهُ اليهم ورحبوا

فان شئتِ أرسلنا اليه

ليلى : إِبْعَثْ اذْعُهُ وَجِئْنَا بِقَاضِي نَحْدِ اليَوْمَ يَكْتُبُ

ابن عوف :

تجاوزت ليلى عَايَةَ السُّخْطِ فاذا كرى

عواقبَ رَأَى قد رَأَيْتِ سَخِيفِ

للي متهمكة :

أَكُنْتُ ابْنَ عَوْفٍ غَيْرَ أَنِّي ضَعِيفَةٌ

تناهتْ لِرَأَى فِي الْأُمُورِ ضَعِيفِ

ابن عوف :

أرى وقتي ياليلَ كانت شريفةً ولكن جزائي كان غيرَ شريفٍ

لبلى :

أنظفُ ثوبي يا أميرُ فطالما ظهرتُ به في الحىِّ غيرَ نظيفٍ

ابن عوف :

لئن كنتِ ياليلي بورٍ قريرةً فاني على قيسٍ لجدُّ أسيفٍ

« ثم يخاطب أمها »

الآن بحفظ الله يا سيدَ الحمى لقد طال لبني عندكم ووقوفي

ووقفتُ يا ليلي

لبلى :

لقد كنتِ سيدى حليفاً لقيسٍ، هل تكورُ حليفي !

ابن عوف :

سألتُ مُحالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافي لا لورد ثَقيف !

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »

« المهدى الى ما وراء شجر النان »

لبلى :

ربماهُ ماذا قاتُ ! ماذا كان مِن شأن الأمير الارِيجيِّ وشاني ؟

فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً فيه وكنت قليلةً الاحسان
 فزعمتُ قيساً نالى بمساءةٍ ورمى حجابى أو أزالِ صياني
 والنفسُ تعلمُ أن قيساً قد بى مجدى وقيسٌ للمكارمِ نان
 لولا قصائده التى نوتهن بى فى البيد ما علمَ الزمان مكانى
 مجدٌ غداً يُطوى ويفنى أهله وقصيد قيسٍ فى ليس بفان
 ما لى عَضِبْتُ فصاعُ امرى من يدى

والأمرُ يخرجُ من يدِ الغصبات
 والوا انطرى ما تحكين فليتى أبصرتُ رشدى أو ملكتُ عِنائى
 ما زلتُ أهذى بالوساوس ساعةً حتى قتلت اثنين بالهذيان
 وكأُننى مأمورةً وكأُنما قد كان شيطانٌ يقودُ لسانى
 قدّرتُ أشياءَ وقدّر غيرها حظٌّ يحطُّ مصايرَ الإنسان

« ستار »

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بني ثقيف ، في قرية من قرى الحن ، حيث اجتمع »
 « طائفة منهم للعبادة بقبس وهو مهم على وجه صالا في العلوات ، »
 « ومنهم ساء منهم في سكل إيسي جميل الثياب يتردى الحرير »
 « من ورعه الى قدمه ، وعلى رأسه عقلاار من الحرير المحلى »
 « بالذهب ، هو الأموى سيطان قدس - الجميع يشدون ويرقصون »

« بشيد الحن »

هذا الأصيل كالذهب بصيل بالمرأى عجب

على الوهاد والكتف

لرقص يعن الطرب هلم يا حن العرب

هلم رقصه اللهب إذا مشى على الخطب

نحن شو جهنمنا نعلنى كما تغلى دما

تنور فى الأرض كما نار أنونا فى السما

نحن شو لخبـار العلم المنـار

يا عرَّ من له انمى
نحن الرياحُ العاصفه
عمرَماً عمرَماً

نرى وسمعُ الشر
منا ومن تكلم
سادة أو يحدم

عمى عمى عمى
با عصفوت ما الحر ؟
حصرنها فيمن حصر

ماذا هياك يا عسر ؟
ما لبس ندرى كاليفز
من الإنس يرسف في ضره
فتى لله الشعر من قدره

إبليس بكر المار
نحن الرعودُ القاصفه
والطلحات الزاحفه

لنا وما لما صوز
ولا يروى من حصر
قول حين لسطم

صم صم صم صم

هيد : فم اجمعنا هها ؟

عصفوت : لا أدري . . . تلك صحة

فصل أحاك عسراً

هيد :

عسر : نحن مسوقون الى

الاموى : بى الحن فى أرضكم عابر

فقالوا به واعلموا أنه

هيد : وأين ترى هو ؟

ما ذا يكون

آخر :

وماذا يهتك من أمره

الاموى :

من الانس أحكم في شعره

ألم تعلموا أن لى صاحباً

وتقف ما سئت في فكره

هسد : أحل أنت توحى له ما يقول

الاموى :

تملأت اليد من ذكره

إدن فاعلموا أنه عاشق

حوى المسهامين في أسرهِ

عاصف : وأعلم أن الهوى واحد

مدلته القلب من سحره

وأن التي سحر قلبه

الاموى :

وأصروها عن هوى غيره

وانى لأ كفل لى له

ولم أغمض العين عن طهره

سهرت على طهر لى الرمان

وما قدس الله من سره

صرفت عن الحب حتى الزواج

سهرت على الحب في قدر !

ولو أن عيني تشق القبور

عصرفت :

ومن يكون

الاموى :

قيس

من قيس ؟

عصرفت :

عاصف :

وهل يحفى القمر !

والساحر الذى سحر الشاعر الذى سحر

منها وللانس وتر حنجرة لنا وتر

ولفتيات البشر ؟ وما لنا يا عصرفت

ومن أيهم غير شر ؟ وما لقينا منهمو

عصرفت : بى الحن اسمعوا أبكم زكام

جى :

ولم ؟

نننت لعمركموا الجواه

عصرفت :

أحر : وما فى الجو ؟

ريح آدمى

عصرفت :

ففيه نناه وله ذكاء

فقد مرت على الخنفساء

إذا الشرى مرة على يوماً

حي : أجل بعداوة الشر ابتلينا

مضى بالسكر إليس أبونا

يعيب رجالهم فيقال عنا

وان عجز المطيب قال داء

وان قفز صغارهمو فرلت

وخفنا من أداهم فاحجبنا

وكم منعوذ بالله منـا

عصوف : وقد شكروا من الناس التجنى

حي : أرسل الله أيضاً من عدا

عصوف :

سي فحماً سليمان وصحفاً

دينا تدمر الكرى بأيدي

حي : وما كان الحراء ؟

أين !

آخرون :

عذاب

عصوف :

وطال بها التبرم والعناء

وكل ترات آدم كريات

وتدفن عارها فينا الساء

من الخنى لس له دواء

ثما معشر الجن البلاء

فما عصم الحجاب ولا الخفاء

تعوذ الأرض منه والسماء !

ونسى ما جناه الأبياء

أهل هم في عداوتنا سواء

ولولا الجن ما نهض البناء

وهل تدرون ما كان الجزاء ؟

وسجن ما لدته انقضاء !

فتحت الماء

حي : تحت الماء ؟

عصافوت : عان

عليه طلاس وعده ماء !

وفي خوف القمام لو علم

آخرون : وما ذا في القمام ؟

عصافوت : آرياء !

حي : ومن ذا زجهم فيها ؟

عصافوت : أمير

علينا لا يرد له قضاء

بي فهو عدل حيب يقضي ومالك فهو يفعل ما شاء !

عاصب : قدس يا قوم مكمو لبس قيس من الشر

حي : قيس منا وإما في بني عامر ظهر

آخر : إنني قد رأيته يتفلى على الشجر

ثالث : وسمِعناهُ قد عوى

عَوَّةَ الجنِّ واستتر

رابع : أنا أيضاً رأيتُـه

رَكِبَ الظَّبْيَ في السفر

عاصف .. متطلعا : تعالَوْا فانظروا

« بتطلع الجميع الى حيث يطر »

حتى : ماذا ؟

آخر : عجيبٌ

عصرواوت : نرى شَبَحًا يُدْحرِجُه الفضاء

أقيسُ^٣ دا ؟

عاصف : نعم هو فاستعدوا

فقد وحب التحفزُ واللقاء

« هب يد نعم آخر »

نأملُ قبسا المضنى تحذُه

من الدَّوْبَانِ أصبح كالخيالِ

الآخر : لقد صلَّ الطريقَ أما تراهُ

يُصفقُ باليدين وبالشِّمالِ ؟

وقد قلبَ الثيابَ عليه نهجاً

على عاداتهم عند الصلال

« يطهر قيس ويلبسون حوله ويبسدون »

سلامٌ مَلِكِ الحبِّ

وسلطانِ المُحبِّينا

لقد شُرِّفَ وادينا
يُحيِّتُكَ بالورد
الى نادبك من بُعدٍ

وأهلا وعلى الرحبِ
أتى الحنُّ من الوادى
حدا ركبهم الحادى

« يتلفت قيس دات اليمين ودات الشمال »

وأىَّ وادٍ أنزلتنى يا ترى
أو أنا بالطائف أو أين أنا ؟
أم عملُ الوهم وتهويلُ الكرى

رَبِّ إلى أين انتهت بي الشرى
عسائى فى الشام ، لعلَّي جُرَّتُهُ
وهذه المسوخُ حولي حِنَّةٌ
لا ، أنا صاحِبُ

« تتحسس حسمة »

يدى ونالك مُقلَى يَقْظَى تَرَى
تكون للجنة كالناسِ فُرَى ؟
ظاهرُهُ أَكْثَرُ منه ما احتفى

هذه رِحْلَى وذى
ولم لا أومِنُ بالحنِّ وأنَّ
لا أدعى معرفةً بعالمٍ

« تمسح حبيبه ويمسح النظر والطلع »

وهذه خيلهمو المُسَوِّمَةُ
وأربُّ مُسْرَجَةٍ ومُلَحَمَةُ

تلك من الجنِّ لَعْمَرَى شَرِذْمَةُ
نعامة كالفرسِ المُطَهَّمَةُ

وقنقدٌ وظبيةٌ وشَيْهَمَةُ

يا عجباً كلَّ العجب ! الجنُّ مني عن كُتُبِ

سودَّ دَقَقٌ في العيون كالذخاير في الحطب

يُحَرِّجُ من أفواهها ومن عيونها اللهب

من كلِّ مَنْ حال بقر به وصال بالذنب

الجار : دِيَّ الحبِّ لا نخش أذى أو شرَّةً منا

عَطَفَت الطير والوحشا فليمَ لا نعطِفُ الحنا ؟

وسلَّ حسان والأعشى وشيطانُهُما عنا

الاموى :

تركتُ ورأى الشام لم أشفعُ به ولا هو من سوى القديم شفاني

وعدتُ الى محدِّ أفاقي صباقتي ووحدني كأنني ما ترحلتُ مكاني

تركتك ليلى فانفحرت ليالبا مؤلفه الأسكالِ حدَّ حسان

فلم يخلُ سِرِّي منك يوماً ولا السرى

ولم يخلُ من تمثالِك القمران

على كلِّ أرض من هوالِ سوارحُ ملأَن سبيلي أو ملكن عِنانِي

(وأجهشتُ للتو ناد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني)



« نبي الحب لا تخش أذى أو شرة منا »

(صفحة ٨٢)

(وأذريتُ دمعَ العين لما عرَفْتُهُ ونادى بأعلى صوتِهِ فدعاني)

« يدنو منه قيس وتأمله »

قيس : لنفسه : يا ويح عيني ما ترى ؟ وويحَ اذني ما تعي !
 وأبن عقلي ؟ عاب عني اليومَ أو عقلي معي ؟
 الشعر لي مُذ قَلْتُهُ من شـ____عتي لم يُسمعَ
 من دا الذي أُوْحِيَ به لذا العلامِ المُدَّعى ؟
 « تقرب من الشاب ويأخذ في اتقاده »

عقــــالان يمانبـانِ منْ وشي وعقيــــانِ
 يضيئان كلحِ الشمــــس في حلقةِ ثعبانِ
 وأين الشفقُ الأحــــمرُ من مِطرَ فِك القاني ؟
 وقد تقسَّرت في الروْ عةٍ من أملاك غسانِ
 وقد تبلَّغُ في الشعــــر الى رقةِ حسانِ
 فما شألك يا هذا ؟

الاموى : وما يعنيكَ مِنْ شأني ؟

قيس : أرى سارقَ أشعارِ جريئاً ما له ثارِ

فقد يُسْطَى على بيتٍ وقد يُسْرَق بيتان

ولا يَنْتَحِل الإنسان أيـاً لا إنسان

وما أنشدت من شعرٍ فمن صنعى وإحسانى

ولم أهُتَفْ به بعدُ ولم تَسمعه اذنان

فَمَنْ أَأَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ اذْنِيكَ أَلْحَانِي؟

الاموى : أنا الملقى عليك الشعرَ — رَ مِنْ آنٍ إِلَى آنٍ

أنا الهاحس والشيطان

لا ، لا ، لستَ شيطاني

قيس :

« ثم يناحى به »

أَحْلُ سَمِعْتُ بِاسْمِ شَيْءٍ — طَانِي وَلَكِنْ لَمْ أَرَهُ

أَنْى وَأَمْى حَدَّثَنَا نِي فِي اللَّيَالِي خَبَرَهُ

« يعود الى خطاب الاموى مترددا »

أَلَسْتَ أَنْتَ الْأَمْوِيُّ؟

لا تَخَفْ أَنْ تَذْكُرَهُ

الاموى :

فِي عَصِي مُصَوَّرِهِ

قيس : ما أَنْتَ إِلَّا صُورَةٌ

وعبثٌ لو كان عَقْلِي حاضراً لأنكره

« قيس - وهو يسكت الارض بعود »

ويحي أقسٌ واحد أم نحن قيسان هنا ؟

وأيننا الشاعر هذا الأموى أم أنا ؟

أم الذى بى وبه من عبث السحر بنا ؟

أم أنا محنون عاكى حب ليلي قد حنى

الاموى : قيس

قيس : لبيك قيس

الاموى : ما أنا قيس

قيس : من إذن ؟

الاموى : قلتُ إننى شيطانهُ

قيس : قيس من آدمٍ فما أنت منه

الاموى : أنا من قيس عامرٍ وجدانه

قيس : أنت وجدانى ؟ إستعذتُ بربى منك

الاموى : لا تستعذ به جلّ شأنهُ !

هكذا شاء: كلُّ شاعر قومٌ عبقرىِّ اللسان نحن لسانه

« قيس مشبحاً بوجهه ومطرباً »

يا عجباً أصبحَ بالجنِّ لسانى يعمرُ !

وصرتُ ينهى ماردٌ على فى ويأمرُ

ما للسانى لا يطولُ ؟ ما له لا يقصرُ ؟

يا ليت شعرى كيف لا يخرجُ منه الشررُ ؟

« الأموى - واضعاً يده على كتف قيس »

علامَ قيس فيم أنـت مُطرقٌ مفكّرٌ ؟

فى خرى ؟

قيس : أجل وما صدقتَ فيما تُخبرُ

ليس لسانى مارداً إن لسانى بشرُ

الاموى : قل وحدك الشعرَ إذن !

قيس : تطنى لا أقدرُ ؟

الاموى : جرّبْ إذن قلْ أرنا يا قيسُ كيف تشعُرُ ؟

قيس : وما تُحبُّ ؟

الاموى :

قريةُ الجنِّ وهذا المنظرُ

أليس فيما أنت راء قيسُ ما يؤثّر ؟

قيس : إسمع إذن يا أموى !

الاموى : إنى أنتظر

قيس : وحوه تصوّر ، وفضا يزهر ، ورمال فى مطارح البصر تزخر !

وقرية تموج بالجنِّ كأنها عبقر !

« الأموى صاحكا »

قه قه ! تعالوا واضحكوا !

« تضحك جماعة من الحسن »

قيس فى غضب : قه قه . . أمئى تسخر ؟

الاموى : ما هكذا ياتساعر السبيد البيوت تُكسر

جى آخر : إنك لا تنظّم يا قيس ولكن تنثر !

الاموى : مالك قيسُ مفتحاً هذا لعمري الحسر !

يُفْحَمُ الشَّوَيْعِرُ
أَدْرَا عَنْهُ الْوَتَرُ ؟
مَنْكَ قَسْ تَفْرُ ؟
آن

عليه حجر !

وشعري المسيطر !
وإن حصرت يحصر

وكنْتَ تُكِر !

وكيف تطهر

طيبته التحبُّور

صخر—راؤه وتعر

نظامه التحيّر

ي جهلت أكثر !

كنت آحالي وحليلاً

لا أرى فيها السبيل

لا يُفْحَمُ الشَّاعِرُ لَكِنْ
مَالِكٌ كَالْعُودِ الَّذِي
مَا لاقواي الْآنْسَانِ
كيف ترى لساك !

قيس :

أنتَ على منساعري
إن عبت عاب حاطري

الآن لا تُنكرُني قيس

عجبت كيف محنفي الجن

يا قس هدا عالم

تطفئ على رائدها

وعاية المغير في

مهما علمت عنه فالد

يا أخا الحنّ لئن

أنا في أعماء أرض

الاموي :

قيس :

الاموى : أين تبغى قيس ؟

قيس : ليلى كُن الى ليلى الدليلا

الاموى :

ما يميناً با أنا المهدى ثم امش قليلا

تحد المزار والماء الذى بشفى العليلا

« سطاق قيس آحداً منه مهرولا »

المنظر الثانى

« فى حى بنى ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قبيل — »

« ورد مصطحع على الرمل وبحاسه يجلس رقيق من رفاقه — يفترب قيس »

قيس : إن قلبى لمحبرى أن هاتيك دارها

أنا بالطائف الذى قرّ فيه قرارها

فى ثقيف تنقلى وثقيف ديارها

ما لساقي جرّرتها فتعابى انحرارها

ولقلبي يقول لى قد تدانى مزارها

كيف لا أهتدى ليلى وى القلب نارها

ليت ليلاي نُبِثْتُ أننى اليومَ حارها

« يتين وردا وصاحبه »

عجبٌ! هُديت الدارَ بعد صلاة
هذى منازلها وذلك بعلمها
هذا عريعى وردُ أشقرَ كاسمه
ما باله اقترش الأديم كأنه

« رفيق ورد »

ورد أرى من المدى القريبِ
على خطاه خَشَّةُ المُرِيبِ

ورد :

لعله ابنُ سليل
إنى أراه سـقـيـما
لمِ لا تقولُ حَيرة الغريب
يمرُّ نالحي مرّاً
يحمرُّ ساقبه حرا

« ينهض من رقدته قلقاً »

الرفيق : عرفتَ مَنْ هو ؟

ورد :
قسُّ به الغرامُ أضرّاً

الرفيق : قيس ؟

ورد : أجل

الرفيق : كيف أفضى إليك ؟ كيف تجرّ

ورد : دعى وقيساً وشأنى لعل فى الأمر سرّاً

« مصروف الرجل ويلاقى ورد وقيس »

قيس : أهذا أنت ورد بنى ثقيف ؟

ورد : نعم والوردُ يَنْتُ فى رباها

قيس : ولمْ تُسميتَ ورداً لمْ تُلَفّتْ !

« ورد - فى سكون وحلم »

وما صرّ الورودَ وما عليها ؟

قيس : (بربك هل صممت إيليك ليلي

وهل رفّت عليك قرون ليلي

« ورد - بعد فترة سكون »

نعم ولا يا قيس

قيس : لا بدّ من لا أو نعم

بل

ورد : هبها نعم يا قيس هل
 المرء لا يسأل : هل
 أحل لقد قبلتها
 مع الحلال من تهم ؟
 قبل أهله ؟ وكم ؟
 من رأسها الى القدم
 قيس عاضاً :

تلك لعمرى قبلة الحمى
 أو قبلة الذئب إذا الذ
 بلاء وس — قم !
 نب على الشاة جثم
 « يتراجع قليلا وكأنا يحدث نفسه »

قلبي يقول لى : لا ! يا صدقه فيما زعم !
 ورد : إذن تعال قيس واسمع فى أناة وكرم
 لا تحمان العصب — جائر بيننا الحكم
 إسمع حديثي إنه ما خط مثله القلم
 وسره لا الأهل يد رون به ولا الخدم
 أنا الذى ظلمت قيس ما أنا الذى ظلم
 أليّة وما على لك يا قيس قسم
 كم مرّت الليلة بي والليلتان لم أنم
 منذ حوت دارى لى ما خلوت من ندم

کانت إطفائی ہا کالونی الصنم

وربما حئتُ فِرا شها فخاننى القدم

كأهلها إلى مَحْرَمٍ وليس بيننا رَحِمٌ

سَعْرُكَ يَا قَدْسُ حَنِ عَلِيٍّ هَذَا وَاجْتَرَمَ

هَيْبَةً : فامنع
 كأنها صيد الحرم

وَهَيْتَهَا لِلْحَبِّ وَالشَّعْرِ وَفَيْسَ وَالْأَلْمِ

فَس : وَلَكِنْ أَعْمَالَ سَرَى تَغْفِيهِ
أَبْنُ لِي مَا لَمْ تُبَيِّنْ تَعَالَ

تَقُولُ لَقَبْتَ بِشَعْرَى الشَّقَاءِ وَجَرَّ عَلَيْكَ بَيَانِي الْوَالَا

أَقْدَقْتُ قَوْلًا فَأَوْحِزْتَهُ فَبِاللَّهِ إِلَّا شَرَحْتُ الْمَقَالَا

ورد : إذن . أصع فلس

قيس : قل الصدق ورد

ورد :

وهل كان لي الصدقُ إلا خلا

ولم ألقِ العامريَّاتِ بالآ

اغْنِي الْقِصَارَ وَأُرْوِي الطَّوَالَ

والمحُ بين القوافي الخيالا

فلولاك ما اخترتُ الا قتيلاً

ذهبتُ بشعرك منذ الشباب

أرى بين الفاظه ظلّ ليلى

فلما رُدِدَتْ وقيل القصائد
 خرجتُ الى حيِّها خاطبها
 بيتُ بها فتهيبتهُ —
 فشعرك يا قيسُ أصلُ البلاء
 كساها جمالا فعلقتهُ
 إذا حثتها لأنال الحقوقَ
 أمسِكْ أبا المهدى !

« يسبحيل كلامه الى همس . اد تدور ليلي على باب الخناء »

أنظرُ هذه
 ليلي علينا طلعت من الخنا
 « ثم ينادى بصوت متهدج »
 ليلي تعالى أسرعى قيسُ أتى
 قيس : أما زحَّ باوردُ قل لي أمت أم
 ورد : بل قلتُ جدًّا لم أقل مُهازلا
 « قيس — هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعها لا تجسّمها الخطأ

« ورد — وليلي تقترب »

إِسمَعُ أُنَا المَهْدَى هَمْسَ خَطْوِهَا
دَعْوَتُ فَاهْتَمَّتْ وَلَوْلَمْ أَذْعُهَا
قَيْسُ تَتَبَّتْ وَاسْنَعَدَتْ هِيَ ذِي
الْآنَ أَمْضَى لَسِيلِي

قيس : بَلْ أَقِمِ
ورد : قَيْسُ أَرَى الْمَوْقِفَ لَا يَجْمَعُنَا
يَا لِكَمَا مَيَّ وَيَا لِي مِنْكُمَا !

« يَنْصَرِفُ وَيَهْمِلُ لَيْلَى عَلَى قَيْسٍ »

قيس : لَيْلَايَ ، لَيْلَى الْقَلْبِ

لَيْلَى : قَيْسُ مَالِي

قيس : فِدَاكَ لَيْلَى مَهْجَتِي وَمَالِي
تَعَالَى أَشْكِي لِي النُّوَى تَعَالَى

« تَصَافَحَهُ شَوْقٌ »

لَيْلَى : أَحَقَّ حَبِيبِ الْقَلْبِ أَنْتَ بِجَانِبِي
أَبْعَدُ تَرَابِ الْمَهْدِ مِنْ أَرْضِ عَامِرٍ

كَأَنَّهُ وَطْءُ الْغَزَالِ فِي الْحَصَا
لَوْ جَدْتُ رِيحَكَ مِنْ أَقْصَى مَدَى
أَنْتَ ، فَلَا يَذْهَبُ لُكُّ الْلَقَا

إِلْبِثْ أَعْنَى ، إِنِّي خُرْتُ قُوَى
أَبْ حَبِيبِ الْقَلْبِ ، وَالرَّوْجُ أَنَا
نَحْنُ الثَّلَاثَةُ ارْتَطَمْنَا بِالْقَصَا

دَارُ بَنِي الْأَرْضِ وَسَاءَ حَالِي ؟
مِنْ السَّقَامِ وَمِنْ الْهَزَالِ
أَلْفَى ذِرَاعِيكَ عَلَى خِيَالِ

أَحْلَمْ سَرَى أَمْ نَحْنُ مُنْتَبِهَانُ ؟
بِأَرْضِ ثَقِيفٍ نَحْنُ مَغْتَرِبَانُ ؟

قيس : حنانيك ليلى ، ما لي ليلى وخيلة
فكلُّ بلاد قريت منك منزلي

ليلى : والى أرى حذيك بالدمع بللا
أمن فرح عيناك تتدبران

قيس : فداؤك ليلى الروح من شرِّ حادث
رماك بهذا السهم والذؤبان

ليلى : ترانى إدن مهرولة قيس؟ حندا
قيس : هو الفكر ليلى ، فيمن الفكر ؟

ليلى : فى الذى تخنى
قيس : كفى ما لقيت كفى

ليلى : أدركت أن السهم يا قيس واحد
وأنا كلينا للهوى هدفان ؟

كلانا قيس مذبوح
قتيل الأب والأم
طعيفان بسكين
من العادة والوهم

لقد زوحت ممن لم
يكن ذوقى ولا طغى
ومن يكبر عن سنى
ومن يصغر عن علمى

عريبٌ لا من الحى ولا من ولد العدم
 ولا ثروته تربي على مال أبي الجدم
 فنحن اليوم في بيت على صدين منصم
 هو السجن وقد لا ينطوى السجن على ظم
 هو القر حوى من حارين على الرعم
 سنيتين وإن لم يمد العظم من العظم
 فان القرب بالروح وليس القرب بالحسم

قيس :

تعالى نعيش بالليل في ظل قفرة
 تعالى الى وادٍ خلبي وجدول
 تعالى الى ذكرى الصبا وحنونه
 فكم قبلة بالليل في منعة الصبا
 اخذنا واعطينا اذ البهم ترتعي
 ولم بك ندرى يوم ذلك ما الهوى
 منى النفس ليلي قرابي فاك من في
 من البيد لم تمل بها قدمان
 وربة عصفور وأيكة بان
 وأحلام عيش من دد وأمان
 وقبل الهوى ليست بذات معان
 واذا نحن خلف البهم مستتران
 ولا ما يعود القلب من خفقان
 كما لف منقاريهما غردان

ولا السَّقمَ رُوحانا ولا الجسدان
على شفتيننا حين تلتقيان
مع القلب قلب في الجوامح تان

ندق قُبلة لا يعرف البؤس بعدها
فكلُّ نعيم في الحياة وغبطة
ويحققُ صدرانا خفوقا كأنما

« تنهر ليلي »

ليلى : وكيف ؟

قيس : ولم لا ؟

ولا لي بما تدعو اليه يدان

ليلى : لست يا قيسُ فاعلا

قيس : أتعصيدي ياليل ؟

ولكن صوتاً في الصمير نهاني

ليلى : لم أعصِ أمرى

لقد ذهلت فلم تحملي له شانا

ووردُ يا قيس ؟ وردٌ ما حفلت به

« قيس : غاصبا »

تعنين روجك ياليلي

« ليلي : منكسة رأسها »

نعم

أُحسنتِ ورداً؟ تُرَى أُحسنتِ الآنَا!

ومتى

قيس :

ليلى : فيمَ انفحارك ؟

قيس : من كيدٍ فُجئتُ به

إني أراك أنا المهدى غيرانا

ليلى :

حقاً على أوديه وسـلطانا

وردٌ هو الزوجُ ، فاعلم قيسُ أن له

قيس : إدف تحاييتما ؟

فما أحبَّ سواك القلبُ إنسانا

ليلى : بل أنت تظلمني

حتى يُسرَّ حتى فضلاً وإحسانا

ولستُ بارحةً من داره أبدا

لم نشكُ إلا إلى الرحمن بلوانا

نحن الحرائرُ إن مال الزمانُ بنا

قيس : بل تذهبين معي !

عهداً ، فما حاد عن عهدي ولا خاناً

ليلى : لا ، لا أحونُ له

ولا تلونَ كالفتيان ألوانا

فتى كنبغ الصفا لم يختلفَ خلئاً

« قيس : متكاماً »

وكان حبك لي زوراً وبهتاناً

أراك في حبٍّ وردٍ جدٍّ صادقةٍ

ليلى : قيس !

« قيس : صارخا »

أتركيني بلادُ الله واسعةً ! غداً أُبدِّلُ أحبَّابا وأوطانا

« يحاول أن يتركها فمسك به ليلي »

ليلى : العقل يا قيس !

قيس : لا خلى الرداء دعى

« ثم هلت منها ويدفع الى سبيله »

« تاركا اياها باكية في هيئة استعطاف »

ليلى : وارحمتهاه لقيس عاد ما كانا !

واهاً لقيس وآه ما صنعنا ؟ أكثر قيس بلواى والوجعا

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

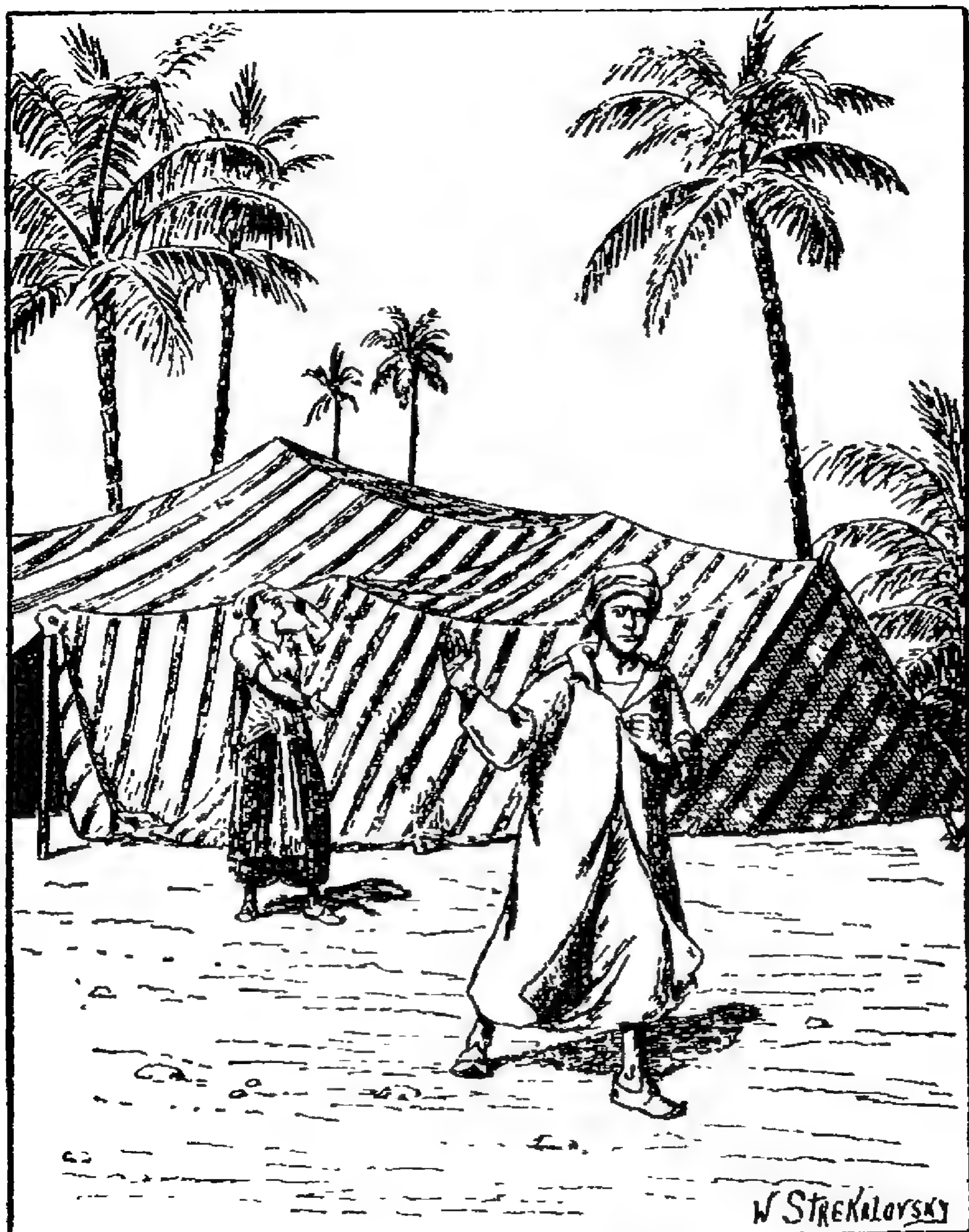
عفراء : لبتك سيدتى الصبر واستدفعى به الجزعا

ليلى : لقد سمعت الحديث كيف إذن صبرى على ماجرى وماوقعنا ؟

قلت لقيس مقال مشفقة لم يلق بالآله ولا سيما

وقيس ذو جنّة وإن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا

تخير الناس فى جنون فتى لا عقل الا بشعره لعا



«... اتركيني بلاد الله واسعة غداً أبذل أحباباً وأوطاناً»

(صفحة ١٠١)

والله لو حاء في محاسنة
يسألُ وردَ الطلاق ما منعا
فوردُ يا عفر لا كفاء له
مروءة في الرجال أو ورعا
آه من السقم

ألف عافية

عفراء :

ابلي :

آه من الحادثات
ألف لعا

عفراء :

وإن ناء بالصباة جهدى
في اللبالي ولا أرقن كسهدى
للمقادير عند قيس وعندى
وتعالي الدواء كهان نجد

ليلى : أنا عذرية الهوى أحمل العناء
المحبات ما بكن كدمعى
ويمح قيس ويمح كلى أى نار
أتعب الحى داء قيس ودائى

لا الحوامم تصرف الجن عنا

حين تتلى ولا رقى السحر تجدى
يسلب العقل من ذويه ويردى
ضاع فيه الرقى وطار المقدى
من عفاف ومن وفاء بعهد
كعذابي ولن تعذب بعدى

أبقيس وبى هوى عبقرى
علة اليد من قديم وداء
ما سلاحاه حين يقتل إلا
لم تعذب بالحب عذراه قبلى

عفراء: هي عذراء؟ ربي اشهد:

ليلي: عذراء حتى يصمني ركن الحدى أجل:

عفراء: والذي أنت تحته؟

ليلي: تحت بعل غير ذي جفوة ولا مستبد

راعني اللوم من جميع النواحي فتواريث في مروة ورد

«يقول ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول»

رب ماذا سمعت؟ ليلي شكور لك نفسي الفداء يا بنت مهدي

ليلي: ورد

ورد: ليلي

ليلي: رُحِمَاكَ ورد وعفوا

كنت أخفي الجوى فأصحت ابدى

ورد: ما ليلي؟ ما ذا أثارك ليلي؟ هدني روعك المفزع هدي

ليلي: الداء يا ورد في مجتهد ملتهم هيكلي وما شيعا

أصبحت لأشتهي الطعام ولا يحمد جنبي الى مضطجعا

قلبي من اليأس حين حل به أحس يا ورد أنه انصدعا

لم يحمل اليأس ساعةً ولقد	كان بما حملوه مصطلعا
التمنى بالعيش منتفِعٌ	ولن ترى يائساً به انتفعا
القدرُ اليومَ والقضاء على	حرك قيسٌ وحربي احتمعا

« ستار »

الفصل الخامس

« مقابر على سفح جبل التوداد في طريق عام على مقربة من حي بني
 « عامر يبدو من بينها قبر حديد ما زال أشخاص من الحي يهيلون
 « عليه التراب ويعصمون الأحجار ، ومن حوله كثير من رجال الحي
 « وقتيانه وصغاره يرى بينهم المهدى وورد وكلهم ناك أو حرين —
 « يبدأ المشيعون في الانصراف وهم يعرفون المهدى وصالحونه واحداً
 « بعد واحد ويمرون على ورد مرورا »

إنا لله أبا ليلي

معر :

صبر أبا ليلي حميل

آخرة :

« في أثناء انصرافهم يمر رجل في الطريق
 « ويسأل صبياً من صبيان الحي في ناحية »

قمر من يا صبي ؟

المار :

فرها يا ألى

الصبي :

إمرأة ؟

المار :

نعم

الصبي :

ومن تكون ؟

المار :

« الصبي مشيراً الى المهدي »

بنتُ ذا الرجل

ليلي ابنةُ المهدي أَلستَ من نجدٍ ؟

صبي آخر : أَجلُ قد دُفنتُ ليلي وما جفت لها لَحْدُ

ودا الشيخ أبو ليلي ودا صاحبها وردُ

هنا الوالدُ والزوجُ

وقيس ؟

المار :

لم يحىءُ بعد

الصبي :

« يقترب الرجل من المهدي ويعريه »

مَهديُّ أَحملُ حزعا

المار :

يا أنا ليلي جَالَكُ

معر :

عَراءُ أبا ليلي

آخر :

عَراءُ أنا ليلي

آخر :

صَبرُ أبا ليلي حميل

آخر :

« صديق من أصدقاء ورد هامسا اليه »

وما للناس إحسان

لقد أَحسنتَ يا وردُ

يُعْزُونَ أبا ليلي وما عزّاك إنسان

بل انظرُ ترَهم أقي علىكَ اليوم ما كانوا

على الأوجهُ بفصائه وفي الأغني عدوان

مهلّا أخى وانظرُ الى الناس بعين مُنصفٍ ورد :

هم يأخذون ما بدا ويتركون ما خفى

طنُّ الجماعات في سوء رأيتهم في ما أصابا

يروّون أنى عدو قيس أخذت ليلي منه اغتصابا

وزدت نفسيهما شقاء وزدت قلبيهما عذابا

ليسأل الناس قبر ليلي فان في قهرها الجوابا

« يلتفت الى المهدى بعد أن يعزّه آخر معز »

تجملّ أبا ليلي

« المهدى — مصاحفا إياه »

ولستُ بخوارٍ قليل التجلّد

إذا قمت من باغٍ عثرتُ بمعتدٍ

ومن كل مقراضٍ ومن كل مبرّدٍ

تجمّلت طاقتي

تجلّت فضول الناس ياوردُ حِقْبَةً

يعيشون في عرضي فمن كل معولٍ

وهذا يحينني ويقطعُ فروتي وهذا يُفدّني ويهدمُ سوّدي
ويا ورد لولم تُرُخِ سترأعلى ابنتي لظلتُ بعرضٍ في البوادي مبدّد
حَفِظْتَ ابنتي حفظ الشقيق ومرّضتُ

بيتك تمرّض الصغير المهدّد
وصيّرت ليلى في حماك وخدرها
لقد صنتها يا وردُ فاذهب فما أنا
وليلي فتاة حرة بنت حرة
وأعلمُ أني كنتُ حربَ هواها
كعدراءٍ ديّرٍ أو كدُميّة معبد
بناس لك المعروف أوجاحد اليد
أحبّت غلاماً سيّدا وابن سيّد
وكنتُ مع الواشي وعوّنَ المفنّد

« ملتفت الى القبر با كيا »

بظل الله يا ليلي

ورد :

وهذا نجدُ يا ليلي فنامي في ثرى نجدٍ

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »

« العريض المغنى والشاعر ابن سعيد وأميّه وسعد »

الفريض : دنا الحى يا بن سعيد وشمّ

وما شمّ ؟

ابن سعيد :

الغريض :

أَنْظِرْ يُجِبُّكَ النَّظَرُ

ابن سعيد : قُبُورٌ ؟

الغريض :

أَجَلٌ عَارِضَتُنَا الْقُصُورُ

وَعَمَّا قَلِيلٍ يُجِيرُ الْحُفَرُ

ابن سعيد :

وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا عَلَى حُفْرَةٍ

هِيَ الْأَرْضُ أَوْ هِيَ قَدْرُ الدَّشَرِ

مُحَجَّبَةٌ بِغُرُورِ الْحَيَاةِ

يَرَاهَا إِذَا غَرَّغَرِ الْمُحْتَضِرِ

غَرِيضٌ : بَصُرْتُ بِقَبْرِ حَدِيدٍ

الغريض :

وَمَاذَا سَوَى الْمَوْتِ فِي ذَا الْعَقْرِ ؟

ابن سعيد :

أَخُ كَانَ يَمْلَأُ أَمْسَ الْهَوَاءِ

وَيَحْيَا الْحَيَاةَ وَيَجْرِي الْعُمُرُ

نَزِيلٌ لِعُمُرِي غَرِيبُ الْغِطَاءِ

غَرِيبُ الْوِطَاءِ غَرِيبُ الْحُجَرِ

لَدَى مَنْزِلِ كَبِيوتِ الْكَرَاءِ

مَرَارًا حَلَا وَمَرَارًا عَمَرُ

يُزَارُ كَثِيرًا فَدُونَ الْكَثِيرِ

فَغِبًّا فَيُنْسَى كَأَن لَّمْ يُزَرَ

وَلَيْسَ بِنَافِعِهِ الْوَاصِلُونَ

وَلَيْسَ بِصَائِرِهِ مِنْ هَجَرِ

فَيَا مَيِّتَ أَمْسٍ عَدْتُكَ الرِّيحُ

وَحَيَّاكَ فِي الْفَتَرَاتِ الْمَطَرِ

وَأَمْسٍ كَعَادٍ وَإِنْ كَانَ مِنْكَ
 لَقَدْ نَفَضَ اللَّيْلُ مِنْكَ الْيَدَيْنِ
 وَأَمْسَيْتَ تَحْتَ لَوَاءِ التَّرَابِ
 تَلَفْتَ وَرَاءَكَ أَيْنَ الْغُرُورُ
 وَأَيْنَ مَعَالِمُ عُرْسِ الْحَيَاةِ
 وَأَيْنَ شَبَابٌ كَحُلْمِ الْعُرُوسِ
 وَأَيْنَ الْعِدَاوَاتُ مِنْ سَافِرٍ
 وَأَيْنَ الْمَوَدَّاتُ مِنْ صُحْبَةٍ
 قَلِيلُونَ عِنْدَ امْتِنَاعِ الْقِطَافِ
 وَكَمْ مَنْ سَقَيْتَ بِشَهْدِ الْوَدَادِ
 وَدُقَّ سِنَةٌ لَا كَكُلِّ السِّنَّاتِ
 وَقُلْ لِلصَّدِيقِ طَوِينًا الْحَدِيثَ
 وَهَيَّءْ مَكَانَيْهِمَا فِي التَّرَابِ
 سَعْدُ : أُمِيَّةُ مَاذَا تَرَى فِي الْغَرِيضِ؟

أُمِيَّةُ :

مُطِيفَ الْخَيَالِ قَرِيبَ الصُّورِ
 وَأَدْرَكَ فَيْكَ النَّهَارُ الْوَطَا
 قَهَرْتَ الْقِصَاءَ وَدَبَّتِ الْقَدَرُ
 وَأَيْنَ السَّرُورُ وَأَيْنَ الْأَشْرُ
 وَأَيْنَ سَنَا لَيْلِهِ الْمَزْدَهَرِ
 ضَحُوكُ الْعَشِيَّاتِ طَلُقَ الْبُكْرُ
 مُبِينٍ وَمَنْ كَاشَحٍ مُسْتَتِرٍ
 كَنَحْلٍ يَحْمُنُ وَأَنْتَ الرَّهْرُ
 كَثِيرُونَ عِنْدَ رَجَاءِ الثَّمَرِ
 فَلَمْ يَحْزَ إِلَّا بِصَابِ الْإِارِ
 وَمَنْ لَيْسَ لَهُ مَاذَا مِنْ سَحَرٍ
 وَقُلْ لِلْعَدُوِّ دَفْنًا الْخَبْرُ
 فَاتِ رَكَابَهُمَا مُنْتَظَرُ

وَمَاذَا أَرَى فِي أَمِيرِ الطَّرَبِ؟

سعد : لقد علم الناسُ أن الغريضَ
ولكن ...

أمية : وماذا وراء « ولكن ؟ »
سعد : أمي أخفض الصوتَ لئلا يسمعنَّ

وأذنُ المغنى تُحسُّ النسيمَ
وتسمعُ في الكأسِ جرسَ الحبِّ

أمية : إني أحافُ الغريضَ
وإن التطيرَ بي قد ذهبَ
أمية : وأين ترى الشؤمَ حولَ العريضِ

وكيف ؟
رؤيدك تدرِ السبَّ

سعد :
أليس الغريضُ يهيجُ البكاءَ
ترعرع في بيئةِ النائماتِ
ينوحُ بيثربَ آلِ الرسولِ
أمية : وأين يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ
وما هو إلا معنى الحياةِ
فلورام دمعَ العروسِ انسكَبَ
وعلدنه الندبَ حتى ندَبَ
ويذكرى ما تمَّ أهلِ الحسبِ
وأىَّ بلاءٍ علينا جلبَ
بناحيثها الأسى والطربِ

لنقضى حقاً لقيس وجب
طويل البلاء ثقيل الوصب
وأهل المريض أضاع الأدب

سعد : ولكننا قاصدو عامر
ونسأل عن عاشق في الديار
ومن زار بالناثحات المريض
« يهياً المريض للعاء »

هو ذا بُرسلُ النغم
رنّ في القاع والأكم
وفؤاد صدى الألم

هو ذا هاج شجوه
هاتف من نواحه
هو في كلّ خاطر
« أنشودة العريض »

وسقى القاع الغمام
والأرض الحرام
ومن الصمت كلام
غشى الليل فناموا
صاروا ولا أين أقاموا

وادی الموت سلام
السماء القدس محرابك
أنت في الصمت مبين
لم يمت أهلك لكن
غيب لم ندر ما

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آحر »
« الانشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على أثر »
« اختفائهم ، قيس وزیاد »

قيس : جيل التَّوْبَادِ حَيَّاكَ الْحَيَا
 فَيْكَ نَاغَيْنَا الْهَوَى فِي مَهْدِهِ
 وَحَدَوْنَا الشَّمْسَ فِي مَغْرِبِهَا
 وَعَلَى سَفْحِكَ عَشْنَا زَمَنَا
 هَذِهِ الرَّبْوَةُ كَانَتْ مَلْعَبًا
 كَمْ بَنَيْنَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبُعًا
 وَخَطَطْنَا فِي ثَقَا الرَّمْلِ فَلَمْ
 لَمْ تَزَلْ لَيْلَى بَعِينِي طِفْلَةً
 مَا لِأَحْجَارِكَ صُمًّا كَلَمَا
 كَلَمَا جِئْتُكَ رَاجِعَتُ الصَّبَا
 قَدْ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةً

وسقى الله صَبَانَا وَرَعَى
 وَرَضَعْنَاهُ فَكُنْتَ الْمُرْضِعَا
 وَبَكَّرْنَا فَسَبَقْنَا الْمَطْلَعَا
 وَرَعِينَا غَنَمَ الْأَهْلِ مَعَا
 لَشَبَابِينَا وَكَانَتْ مَرْتَعَا
 وَانْتَيْنَا فَمَحَوْنَا الْأَرْبُعَا
 تَحْفَظُ الرِّيحُ وَلَا الرَّمْلُ وَعَى
 لَمْ تَزِدْ عَنْ أُمِّسِ إِلَّا إِصْبَعَا
 هَاجَبِي الشَّوْقُ أَبْتُ أَنْ تَسْمَعَا
 فَأَبْتُ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا
 وَتَهُونُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَا

« يظهر بشر قادمًا إلى المقبرة من ناحية الحى »

بشر : عزاء قيس !

قيس : مَنْ ؟ بَشْرُ ؟

أجل

بشر :

فيمن تُعزِّيْنِي ؟

قيس :

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإن أُخِرَّ تكفيني

« يضطرب بشر وقد أدرك حهل قيس »

« وخرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

بشر : يجهلُ قيسُ موتَها ولم أخلُ أن يجهلَه

ويُح له وويُح لي ! ماذا عسى أقولُ له

إن الحبيبَ بعِثه الى الحب مُعضله

إني أخاف إن أنا خبرته أن أقتله

قيس : بشر

بشر : لبيك قيسُ

قيس : من أين يا بشرُ ؟

بشر : من الحي

قيس : ما حوادثُ عامرٍ ؟

كيف أمي يا بشر ؟

بشر : برَّحها الشوق

قيس : وأهلى . .

بشر : حنينهم متكاثر

قيس : وَلِدَاتِي مِنْ فَتِيَةٍ وَعَذَارَى ؟

بشر :

كلهم شيقٌ لعمدك ذاكر

ونادٍ على النجوم وسامِر ؟

قيس : كَيْفَ بَيْتٌ لَنَا بِمَدْرَجَةِ الرِّيحِ

وَالنَّخِيلَاتُ كَيْفَ خَلَقْتَهَا بَشَر

بشر :

كما هن باسقاتٌ نواضر

قيس :

وَمِهَارِي الَّتِي تَرَكْتُ صِعَارًا ؟

بشر :

كبرت قيسُ فهِى جُرْدُضَوَامِر

قيس :

وتأى بهارس وبشاعر !

عزَّت البيدُ ، تُنَبِّتُ السَّابِقُ الْفَدَّ

« يضطرب بشر »

ويح بشرٍ ماذا به ؟

قيس !

بشر :

بشر !

قيس :

أنت في نفسك الخفية نائر

تُشْبِهُ الحزنَ والبكى نِبراتٌ لك كانت كضلخكات المراهر

« بشر — الى نفسه ثم الى قيس »

ربّ ماذا أُجيب ؟ لا شيء يا قيس . .

قيس : بل الحزنُ في مُحياك طاهر

ولقد راعنى لك اليوم جدُّ من خلع العذار بالأمس سادر

« تمرورق عينا بشر بالدموع »

ماجرى؟ ما الذى أثارك يا بنَ العم؟ ما هذه الدموعُ البوادر؟

بشر : قيس لا شيء

قيس : بل كُتِمتَ جليلاً

هذه وَحْمَةُ النِّعَى المحاذر !

بشر : قيس . .

قيس : لا تَجِمْ ولا تُخَفِ شيئاً أنا يا بشرُ بالفجيرة شاعر

خُلِجْتُ قبل نلتقى عيني اليسرى وريعَ الفؤادُ روعةً طائر

بشر : أعفني! أعفني! بربك ماأنت على ما أقوله لك قادر !

قيس : أمأنت ؟

شر : أحل قضت أمس ..

« قيس وهو - يعنى عليه »

واليلاه !

شر : لله - ما أشدَّ المقادر !

« يمضى شر فى سبيله »

« زياد - مقتربا من قيس »

هو مغمى عليه ربُّ أوصحو؟ هل لهذا العذاب يا ربُّ آخر؟

« يوصحو قيس »

زياد : تباركت يا ربُّ قيسُ أفاق؟ صحت عيْنُ وصحا المسمعُ !

رحمت لنا قيس

قيس : هيهات هيهات ! من كان فى الرِّع لا يرجع

لقد بقيت خفقةً فى السراج سيلفظها ثم لا يستطيع

زيادُ غداً يلتقى الموجهون وموعِدنا ذلك البلقع !

« يشير الى المقابر »

عرفتُ القبورَ بعرف الرياح ودلَّ على نفسه الموضعُ

كشكلى تلمسُ قبرَ ابنها الى القبر من نفسها تدفع

هداها خيالُ ابنها فاهتدت
لنا اللهُ يا قلب ! ليلاك لا
فُجِعنا ليلى ولم نك نحسبُ
وليلى الحيالُ الذى أُتِعَ
نحيبُ وليلائى لا تسمع !
يا قلبُ أنا بها نفجع

« تقرب الى القبر يا كَيِّاً ويكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أُعِيىَ هذا مكانُ البكاء
هنا حسمُ لبلى هنا رسمُها
هنا فمُ لبلى الزَّكَّى الصَّحو
هنا سحرُ جفنٍ عَفاه الترابُ
هنا من سنابى كتاب طواه
هنا الحادثاتُ ، هنا الأملُ الحـ
طريدُ المقادير هل من يُجِيرُ
تَزِلُ الحياةُ لسلطانها
طريدُ الحياةِ ألا تستَفِرُّ
بلى قد بلغت الى مَفَرَعٍ
وهذا مسيلك يا أدمع !
هنا رَمَقى فى الثرى المودع
كُ يكاد وراء البلى يلمعُ
وكان الرُّقى فيه لا تنفع
وليس بناشره البلمعُ
لو يا ليلَ ، والألمُ الممتع
ك منها سوى الموتِ أو يمنع ؟
وللموت سلطانها يخضعُ
ألا تستريحُ ، ألا تهجع ؟
وهذا الترابُ هو المَفَرَعُ

« يطهر الاموى شيطانه من بعيد ويأديه »



« أعينى هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا أدمع »

(صفحة ١١٩)

الاموى : قيسُ

قيس : مَنْ الهَاتِفُ من

الاموى : أنا الذى أوحى اليك

قيس : إذهب وإن لم أذِرْ رُو

إذهب فلتَ صالحا

كنتَ قرينَ السوءِ لى

لولاك ما بُحْتُ بما

كانه فى عرضها

الاموى : أفقْ قيسُ

قيس : سِرْ خَلْنِ ياخيال

الاموى :

حنانك قيسُ أَقِلَّ العتابَ

تفرَّدتَ بالألمِ العبرىِّ

مُرِيْبُك يا قيسُ فوقَ الترابِ

أخذتَ سبيلَكَ نحوَ الخلودِ

قُمْ اهتِفْ بليلى وشَدِّبْ بها

نادى الشريدَ المُطَرَّحُ

حُبَّ ليلى واقتَرَحُ

حُ أنتَ أم أنتَ شَبَحُ

وأى شَيْطَانٍ صَلَحُ

وكنتَ شرًّا من نَصَحُ

خدش ليلى وحرَّح

زيتٌ على الثوبِ سَرَح

ومَنْ بالخيال لمن لم يَنْمَ

ولا تسكبنَ دموعَ الندمِ

وأنبغُ ما فى الحياةِ الألمِ

وأنتَ مع النجمِ فوقَ التَّهَمِ

وليس الخلودُ سبيلَ الأَمَمِ

وخلَّ التقاليدَ وانسَ الحُرَمِ

وطرٍ في الهواء طليقَ الجناح
 فلو أنصفَ الناسُ خلَّوْ كما
 قُم أبسطُ جناحك فوق القِفار
 واترِعْ من الوترِ العبقريِّ
 وألِّفْ على الحبِّ شتىَّ القلوب
 تغنَّ بليلى ونُحْ بالغرام
 فلا خيرَ في الحبِّ حتى يذيعَ
 وسِرُّ في الأديم طليقَ القدم
 كتركِ الوفودِ حمامَ الحرَمِ
 وطرٍ في الوهادِ، وقعَ في الأكم
 سماءَ القصورِ وأرضَ الحِمَمِ
 وأرسِلْ بسرَّ الجمالِ النغم
 وبُثَّ الصباةَ واشكُ السَّقمِ
 ولا خيرَ في الزهرِ حتى ينمِ

قيس : أقوم ؟ هات قدما

أقول ؟ أعطى ثما

أما تراني هيكلاً محطماً مهتماً !

« يحبني الشيطان ويستمر قيس »

يا ربَّ قيسٍ هل نعيمٌ وهل جرتُ
 أولاً فما بالي أنوء بهيكل
 اليومَ آذنا القصاة بحكمه
 راجعت في الموت الحياة وعادني
 كأسٌ تدورُ على النفوسِ مشاعُ
 للموت فيه وللحياة صراع ؟
 مالى ولا لك يا حياةُ دفاع
 في النزاع يا ليلي اليك نزاع

كيف الوداعُ من الحياة ولم يُتَحْ
 هيهات لم تعدِمُ شذاكِ قرارة
 وعلى سماء البيد منك بشاشة
 وكأن كل ضبايةٍ دون الضحى
 لى منك ياليلى الغداة وداع
 حولى ولم يعدِمُ سنالكِ يَفَاع
 وعلى رمال البيد منك شُعاع
 قسَماتُ وجهك دونهن قناع

« يمر به ظي سارح فيتامله قليلا ويناجيه »

ياظبي بكّ من افتداكِ بماله
 وأباح طفلك ماءه وطعامه
 ياقاعُ كن نعشى وكن كفى وكن
 واجمع لتشييعى الأطباء، ومن رأى
 أترى أموتُ كما حبيت مُشرّداً
 وأبيتُ وحدى لا الوحوش أو انسُ
 إذ أنت عانِ تُشترى وتُبَاع
 اذهنْ عَطَشِي بالفلاة جِيع
 قبرى وقمُ فى مائى ياقاع
 ميتاً بأسراب الأطباء يُشاع
 لا الأهلُ من حولى ولا الأتباعُ
 حولى هناك ولا الأطباء رِتاع ؟

« تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »

« ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً »

زياد : قيسُ لا بأسَ عليكُ أنا ذا بين يديكُ

قيس :

نفسُ اطمئنى الآن لستُ وحدى قد حضر الذى يَنحُطُّ لحدى

وَيُرْشِدُ الْحَيَّ إِلَى بَعْدِي زِيَادُ أَنْتَ الْمُسْفَقُ الْمُقَدِّي
لَمْ أَفِرِدْ إِلَّا رُؤْيَا عِنْدِي

« يتبين شح ابن ذريح »

زِيَادُ مَا دَاكَ مِنْ—ذَا يَسْكِي وَرَاءَ الضَّرِيحِ
إِنِّي أَعَارُ عَلَى الْقَبْرِ مِنْ عَرِيبِ الْجُرُوحِ
زِيَادُ : لَا تَخْشَ يَا قَيْسُ مِنْهُ فَانْهَ أَنْ ذَرِيحِ
ابن ذريح :

يَا لَيْلَ قَبْرُكَ رَبْوَةُ الْحُلْدِ نَفَحَ النِّعَمُ بِهَا ثَرَى نَجْدِ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ أَرَى مَلَكًا يَتَنَفَّسُونَ تَنَفَّسَ الْوَرْدِ
لِسِوَا الْجُمَانِ الرَّطْبِ أَجْنَحَةٌ وَتَنَاثَرُوا كَتَنَاثُرِ الْعِقْدِ
وَتَقَابَلُوا فَعَلَى تَحِيَّتِهِمْ مِسْكُ السَّلَامِ وَعَنْبَرُ الرَّدِ
وَكَا أَنْ نَجَوَاهُمْ وَسُبْحَتِهِمْ صَوْتُ الْغَمَامَةِ أَوْصَدَى الرَّدِ
نَفَحَاتُ طَيْبٍ هَهُنَا وَهَهُنَا مَا لِلرِّيَاضِ مَهْنٍ مِنْ عَهْدِ
يَا قَيْسُ صَبِرَا هَهُنَا مَلَكُ ذَبْحُ الصَّبَابَةِ مُشْهَدُ الْوَجْدِ
أَصْحُ انْتَبِهْ وَاطْرَحْ بَعِينَكَ فِي بِهَجِّ السَّمَاءِ وَحُسْنِ مَا تَبْدِي
قَيْسُ : أَيْنَ السَّمَاءُ وَأَيْنَ مُحْتَضَرُ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِاللَّحْدِ



في كل ناحية أرى ملكا يتنفسون تنفس الورد

(صفحة ١٢٤)

السَّهْدُ عَذَّبَنِي وَذِي رِسْنَةٍ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُبَشِّرُنِي
لَوْ أَنَّ لَيْلِي فِي النِّعَمِ مَعِي
لَيْلِي النِّعَمِ وَقَدْ ظَهَرَتْ بِهَا
إِنِّي أَحَبُّ وَإِنْ شَقِيتُ بِهِ
أَجِدُ الشِّفَاءَ بِهَا مِنَ السَّهْدِ
بِالْخُلْدِ مَا أَنَا دَاخِلٌ وَحْدِي
أَوْ فِي الْجَحِيمِ تَسَاوِيَا عِنْدِي
فَالْيَوْمَ نَزَقْتُ فِي ثَرَى نَجْدِ
وَطَنِي وَأَوْثَرَهُ عَلَى الْخُلْدِ

« يسمع صوتنا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر »

الصوت :	قيس	
قيس :	مَنْ	الصوتُ
للصوت :	قيس	
قيس :	زيادُ	اسمُ
الصوت :	قيس	
قيس :	سمعتُ	اسمى
الصوت :	قيس	
قيس :	تناديني	من قبرها باسمي
	لَبَّيْكَ يَا لَيْلِي	بالروح والجسم

« يدخل في دور الاحتضار الأخير »

هل أسي الموت حرا حيناً وهل
قرب الدار وهل لم الشتات؟

أصوات: قيس ، ليلي

قيس : رَبةٌ في أذُنِي
رَدَدْتُ قيسَ ولبلى الفلواتُ
نحن في الدنيا وإن لم ترنا
لم تَمُتْ ليلي ولا المحنورُ مات

« ستار الختام »

نظرات تحليلية

تمهيد

اختلف الرواة في مجنون بنى عامر ، فى اسمه وفى شخصه ، وفى حياته وموته ، وفى قصة هواه أهى موضوعة . لها بها قوم وتداولها آخرون ، أم هى مأساة حقيقية ، ومهما يكن فقد أصبحت قصة المجنون فصلا خالدا فى تاريخ الأدب العربى فيه روح شعرية ناضرة ، تحدث الأجيال عن أسمى وأعلى مثل للغرام البدوى القوى العفيف وهذا ما يعنينا حيال هذه الرواية الجديدة

هيكل الرواية

اختار المؤلف لمجنون بنى عامر اسما واحدا من بين الأسماء الكثيرة التى اختلف فيها الرواة ، هو « قيس بن الملوّح » ثم كنى عنه فى بضعة مواضع بأبى المهدى ، واختار لحياة قيس من بين رواياتها

المختلفة ، أسلسها وأجراها مع المنطق : أن قيسا وليلى نشأ في بيتين من أشرف بيوت بى عامر ، فتعارفا طفلين ، فتوادا ، فاستحالت مودتهما غراما مع الأيام . ثم شتّب بها قيس فى شعره فحيل بينها وبينه نزولا على ما سوف ترى من سنة البادية ، فزفت إلى غيره ، فاتقد هواه واتقد حتى أشرف بعقله وجسمه على حال هى الجنون أو تكاد فأما شرف يتيهما فتراه حيث يتحدثون عن قيس فيقولون فى غير موضع واحد إنه « سيد من عامر وابن سادات » وحيث يتحدثون عن ليلي فيقولون عنها « عقيلة الحمى » وينادون أباها « ياسيد الحمى » وأما مودتهما طفلين فاليك عليها شاهدين من عدة شواهد تراهما فى كلام المجنون :

« فكم قبلة ياليل فى ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معان »
« أخذنا وأعطينا اذالبهم ترتعى وإذ نحن خلف البهم مستتران »

« هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعاً »
« كم بنينا من حصاها أربعاً واثنينا فمحونا الأربعا »

« وخططنا في نوازل الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى »
 « لم تنزل ليلي بعبي طفلة لم تزد عن أمس الا إصبعا »
 وأما هواهما ، وكيف حبل بينهما ، فأظرنا قليلا نقص عليك
 بآه في شئ ، من التعميم والأطناب

لمحة سياسية

كان الحسين بن علي كعبة القلوب والأبصار في جزيرة العرب ،
 بعد أن قتل أبوه علي ، ومات أخوه الحسن ، وانتهت خلافة الاسلام
 الى معاوية بن أبي سفيان
 أصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادي
 العرب الى حواضر الشام ، واستقر الحكم الجديد في دمشق تاركا
 مكة وما يليها تحت ولاية مروان بن الحكم في هذا العصر عاش المجنون
 في بادية نجد أو قيل إنه عاش

ما كان في الحجاز وما يليه يومئذ مسلم يستطيع أن يتسم للزمن
 الجديد وللدولة الجديدة ابتسامة من أعماق نفسه ، وهو يرى الدين
 الذي هشت له عاطفته وقلبه ، وامتلا منه يقينه وإيمانه ، تعرض له

الدنيا التي أقبلت على دمشق محمولة على أسنة بنى أمية وأحلامهم
فتنقله من حيث كان يراه هذا العربي في مكة ميران العدل وآية
الزهد والورع ، الى حيث قدر له هذا العربي أن يكون في دمشق
ملكا دنيويا

وكذلك طل الحسين فائما في نفوس الناس هناك صورة مقدسة
لبداوة الاسلام ، تستمد أنصر ألوانها من صلته القريبة بجده رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وبنوته لرجل كان أشد الناس زهدا واستصغارا
لدنياه ، وكذلك ظهرت بلاد العرب وقلوبها يحقق باسم الحسين ، ولسانها
المعلول إما منافق يترصى الحاكم الجديد ، وإما حائف تسنح له الفرصة
فيهتف باسم الحسين في معرل عن العيون والأرصاد

قدّمت ليلي الى أترابها في مجلس من مجالس السمر ، ابن ذريح
على أنه رضيع الحسين ، فادما من يثرب يشفع عندها لصديقه قيس .
قالت عبلة لجارها بشر :

« أسمع بشر : رضيع الحسين ، فديت الرضيعين والمرضعه . »

« وأنت إذا ما ذكرنا تصاممت »

فانظر كيف يجيها بشر وكأنه أهين :

« لا حاهلا موضعه »

« ولكن أخاف امرأ أن يرى على التشيع أو يسمعه »

« أحب الحسين ولكننا لسانى عليه وقلبي معه »

« حبست لسانى عن مدحه حذار أمية أن تقطعه »

ثم ترى الحسين فى موكبه بين مكة والمدينة ، فاذا الحادى يغنى :

« يا نجد »

« سر فى ركاب الغمام ليثرب »

« هذا الحسين الأمام ابن النبی »

وإذا عامل من عمال بنى أمية ، هو نصيب كاتب ابن عوف

أمير الصدقات فى الحجاز ، ينسى فى جلالة هذا الموكب نفسه ومكانه

من أمية ، فيجيب زيادا والغصب آخذ منه ، إذ يسأله « من لواء

الموكب ؟ »

« قد بين الحادى فقل أصم أمت أم غبي »

« هذا منار العرب هذا الحسين ابن النبی »

« هذا سنا جبينه ملء الوهاد والربى »

وإذا ابن عوف أشد من صاحبه حرصاً على نفسه ومكانه من
أمية ، وإذا هو أكثر منه تقديراً لسلطانهم ؛ وكأني بك وقد
أشفقت على نصيب أن يصيبه غضب مولاه ، لكن الواقع أن مولاه
لا يغضب منه ولا يقسو عليه وإنما يكفيه في أمره عتب تافه يهمس
به إليه :

« نصيب صه لا تسلكن بنا مسالك التهم »

« إحذر جواسيس ابن هند وعيون ابن الحكم »

وكأنه في هذا العتب الهامس الرقيق يشارك عامله في تقديس
الحسين ، بل هو يجهر بهذا الحب جهراً ضمناً إذ يقول لزياد عن
غيبوبة المجنون :

« زياد اطر فما أثقك صريع الوجد والذكرى »

« كما مر بنا الركب الحسينى به مرا »

« فلم يشغل له بالا ولم يوقظ له فكرا »

ثم يعود نصيب في موقف آخر فيذكر الحسين عائباً ، لكنه

يذكره في هذه المرة بينه وبين نفسه ، لا يخشى سطوة أمية ولا عتب
ابن عوف « ولا عيون ابن الحكم » فتراه في هذه المرة يلعن الزمن
ويلعن الوطيفة إباء على مولاه أن يتشبه بالحسين في الشفاعة لعاشق ،
إذ يقول :

« يا دهر در بما تشا ويا حوادث اهزلى »
« ويا وطيفة اعزى ويا جرایة ارحلى »
« يغى ابن عوف أن يكو ن كالحسين ابن على ! »
وهنا تخرج ليلي أو ينخيل اليك أنها خارجة عن تلك القاعدة
التي وضعناها لسكان البادية ومنزلة الحسين من نفوسهم ، كما تخرج
عنها في قول ابن ذريح :

« الآننى أنا شيعى ولىلى أموية ؟ »

وينخرج معها قيس في هذا البيت ، أو كذلك ينخيل اليك :
« ليلي على دين قيس فحيث مال تميل »

على أنه بالرغم من كل ما ذكرنا في هذه اللوحة السياسية ،
يجب أن نعود فنقول إن هذا التشيع الحزبي لم يكن له أثر كبير في

حياة أولئك العرب البادين ، ولم يظهر في الرواية الا في هذه بضعة
مواقف ، ثم غطاه المؤلف بزرعة أقوى منه أثرا في حياة قاطن
الصحراء ، نزعة تعبر عنها ليلي اذ تقول :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ماهيه »

ويعبر عنها زياد اذ يقول :

« سيطر الحب على دنيا كو كل شيء ما حلا الحب عبث »

عادات العرب

أظهر ما يضرب العين في هذه الرواية من عادات العرب تلك
السنة التي جروا عليها أن يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا تنب بها
وأعلن هواه والتي يقدمها المؤلف في أكثر من موضع يقول في أحدها
« ومن عادة البيد نقض الأكف من العاشقين إذا تلبوا »

والتي يعللها لك المؤلف بحشية العار والفصيحة في أكثر من
موضع كذلك يقول في أحدها والحديث عن ليلي بين قيس وشيطانه :

« لولاك ما بحت بما حدش ليلي وجرخ »

« كأنه في عرضها زيت على الثوب سرح »

والمؤلف يرجع هذه السنة الى شرع جاهلي قديم ، ترى أقوى الشواهد عليه في قوله إن ليلي إذ ضربت بعرامها الأرض إنما كانت :

« تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توحب »

« وبالجاهلية إعجابها »

ثم ينحدر المؤلف بهذه السنة قوية مع الزمن حتى تعرض لها حصاره الاسلام فتوهن من قوتها ، وترسل في جيروتها نفحة من روح التسامح ، تهمس تارة على تنفى رحل مجهول أن ليلي إذا كان إعجابها بالجاهلية فقد « قل بالسلف المعجب » وتنادى حتى ليلي تارة على لسان شخص آخر :

« هبوه حن بليلى ليس العرام مجرم »

ثم تتغنى تارة أخرى على السنة الصغار :

« إيه يا شاعر نجد ونجى الظبيات »

« أضمر الحب وأبد لأعف الفتيات »

ثم تتحرك هذه الروح فتستشفع الحسين في عاشق ، وتستشفع

بن عوف في عاشق آخر ، ثم تقوى هذه الروح فتسلط الندم
والعذاب والتعاسة على هذه الفتاة التي « تصون القديم وترعى الرميم
وتعطي التقاليد ما توحب » تجعلها « مأمورة يقود لسانها شيطان »
وطعينة « بسكين من العادة والوهم » وترها في بيت « هو القبر
حوى ميتين حارين على الرغم » ثم تسلط عليها الداء « يلتهم
هيكلكها » واليأس « يصدع قلبها » والموت يسلبها الحياة

على أن هذه الروح الجديدة التي دنت في عتق هذه التقاليد لم
نزول سلطانها جميعاً ، وحسبك ما رأيت من هدر دماء قيس ترضية
لهذه التقاليد حتى تعلم أن هذه الروح كانت في مولدها تعمل عملها
لبطىء في سكون

ثم يتلو هذه العادة سلسلة من أحواتها الصغار منها استدفاع
لحذر بندااء الحبيب ، وعلاج الغيبوبة بالتكبير في أذن المعنى عليه ،
وإيقاد النار وراء الضيف الثقيل وفي هذه يقول ابن عوف :

« نزلت فلم أكرم فهل أنت متبعي وقومك نار الطرد حين أميل »
ومنها تصفيق المسافر وارتداؤه الثوب مقلوباً إذا ضل الطريق ،

ومنها - وتقرر هذه العادة بشيء من التحفظ - إطلاق الحرية للفتاة في اختيار القرين كما يبدو في قول المهدي لفتاته

« هو الحكم يا ليلي ما تحكمين خذي في الخطاب وفي فصله »

فقد تكون ثقة الرجل من رأيها وقوتها وحرصها على حرمة التقاليد ، هي التي جعلته يقامر مطمئناً بهذا الإطلاق ، وقد يكون هذا التحفظ لا محل له اذا وضعناه في الميراث مع قول من يقول :

« ويلي ابنة الشيخ مارأيها اما من حساب لها يحسب »

حياة البادية

في هذه الرواية صور متفرقة من السهل أن تؤلف منها يوماً من أيام البادية بسيط المطامع في حاه الحياة . . . ماذا يفعل البدوي في يومه هذا وما هو الا ظل مصر من حياته جميعاً ؟ يأكل من طعامه البسيط وتسميه هند « ما طهت الماشية » ويسط لك المؤلف أحفل موائد هذا الطعام البسيط في قول المهدي :

« هو الضيف ياليلي هاتي الرطب »

وهاتى الشواء وهاتى الحلب «

« وهاتى من الشهد ما يشتهى

ومن سمينة الحى ما يطلب «

ثم يرعى قطعانه يأكل منها ويكتسى من صوفها بما تغزل يداه

ثم يصيد أحياناً لرياضته وأحياناً لطعامه وأحياناً ليدفع عن نفسه

ضراوة الوحوش وفى ذلك تقول لبلى :

« وآنا نحف لصيد الظبا ، وآنا الى الأسد الضارية «

ثم يحب وسنعرض لهذا الحب بعد قليل ، ثم يؤمن بالدين والجن

والسحر وتراها مجتمعة على لسان لبلى إذ تقول :

« لا الخواميم تصرف الجن عنا حين تتلى ولا رقى السحر تجدى «

ثم أحياناً يحرص على شرفه وعرضه ، ويدفع عنهما بالروح بغى

الآئمين ، وخير ما يبدو لك هذا العنصر القوى فى حياة البدوى

عند ما ينادى المهدى رجل من رجال الحى :

« زد عن عقيلة الحى وامنع حياض الشرف «

« نحن كعلمات وليلى بيننا كالمصحف «

غرام البادية

تتحدث ليلى عن البادية فتقول لابن ذريح :

« أ كنت من الدور أو في القصور ترى هذه القبة الصافية »
 « كأن النجوم على صدرها قلائد ماس على غانيه »

ثم تستأنف حديثها فتقول :

« لها قبلة الشمس عند البروع وللحضر القبلة الثانية »

وتتحدث هند عن هذه البادية نفسها فتقول :

« كفى يا ابنة الخال هذا الحرير كثر على الرمة الباليه »
 « تأمل ترى البید یابن ذريح كمقنبرة وحشة خاويه »
 « سئنا من البید یابن ذريح ومن هذه العیشة الجافیه »
 « ومن موقد النار فی موضع ومن حالب الشاة فی ناحیه »
 « وراغیه من رواء الخیام تجیب من الكلا الثاغیه »
 « وأنم بیثرب أو بالعراق أو الشام فی الغرف العالیه »
 « مغنیكمو معبد والغریض وقینتنا الضبع العاویه »

« وقد تأكلون فنون الطهارة ونأكل ما طهت الماشيه »

وشىء واحد فى حياتى هاتين الفتاتين يعزى اليه هذا التناقض
البيت فى الراى والتقدير ، أن ليلى فناة محبة محبوبة ، وأن هنداً ...
ليست هند كما أرادها المؤلف الا قلباً مغلقاً لم تمس قفله يد الساحر !
أولئك قوم من سكان البادية يعيشون فى هذا العالم المنسط ،
بين سمائه الصافية ورماله المترامية وأفق البعيد ، كأنما يعيشون فى
فراغ يمثلون فيه قصة صغيرة موجزة من قصص الشرية الأولى حيث
القلب خلى والمطمع صئيل واللهو ساذج والرزق محدود ، حيث تمر
الحياة كأنها فى بساطتها وتكرارها وتشابه مناظرها بياض نهار وسواد
ليل ، نهار ممل وليل مضجر طويل ، ودون هذا وتحس هند أنها
تعيش فى قبر تتغنى الضاع العاوية فيه !

فى وسط هذا الملل والضجر قد يتفتح قلب البدوى للهوى ، فاذا
هو الهم الشاغل والفصل الحافل فى حياة البدوى ان لم يكن حياته كلها ،
لقد يمنح الحصرى لهواه ركنا من قلبه الزاخر بهوم الحضارة
وأطباعها ولهوها ولعبها ودنياها ، يمنحه هذا الركن منحة ، وهو

وأتق أنه الركن الضيق المنزوى ، وأنه الركن الذى تصيبه فواح
التضحية بين العاطفة والمادة .

أما البدوى فلا يمنح من قلبه لهواه شيئاً وإنما يسلبه هذا
الهوى من قلبه كل شيء ، كلما عرف به المال ، وما أكثر ما يعز منال
الهوى فى البادية ، كلما اندفع صاحبه وراءه اندفاع المتكالب المجنون
وهل من عجب بعد ذلك أن ترى ليلى البادية ما تراها ، وهل
من عجب أن تقول عن نفسها وقومها :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ماهيه »
« ويقلنا العشق والحاضرات يقمن من العشق فى عافيه »
وهل من عجب أن يخامر هذا الداء قبساً فيقول :

« سجا الليل حتى هاج لى الشعر والهوى

وما البید الا الایل والشعر والحب »

« ملأت سماء البید عشقاً وأرضها

وحملت وحدى ذلك العشق يا رب »

دع هذا الهوى فى قلوب أصحابه يزخر ويتقد ، وعدنا إلى

البادية . . .

ما طنك بأرض يصخم فيها كل شيء ، يزأر الأسد ويرعد زئيره ،
ويحقق القلب فيقل خفوقه ، ويعثر العاشق عثرة لسان — كما تعثر لسان
قيس بليلة الغيل — فادا عثرته وصيحة تذل قبيلة وتملأ بذلها أفواه
الكبار والصغار ؟ . . . ثم أخيراً ما طنك بحب يعيش في هذا
المحيط ؟ أيسطيع هذا الحب الا أن يكون « عذريا » تحار الرقى
فيه ؟ أيسطيع هذا الحب الا أن يعف ويتصوف حتى تنفح له نافذة
في هذه الأقفاص ؟

قيس

ليست حياة قيس في الرواية إلا زهرة متصلة تتردد في قلب

مغرم جريح

ولكننا نعرض لقيس من ناحية أخرى ، قد تكون عارضا على
حياته لا يدلّه فيه ، وقد تكون في حياته صدى هذا الهوى المجاح ،
نعرض له من حيث اتهم بالجنون ولقب به ، لنرى حظه من حقيقة
العقل أو حقيقة الجنون

الناس يصمون قيسا بالجنون أحيانا ، ثم يستقدونه من هذا

الجنون أحيانا ثم يأخذهم في أمره كثير من الشك والحيرة أحيانا أخرى ، وهم في هذه الثلاثة الأحوال يتحدثون عن قيس في شيء من يقين الواثق بصدق ما يقول . والمؤلف حفظه الله أشار الى ذلك ، أنظر الى منازل يقول عنه لزياد :

« تؤدني زياد وأنت ظل لحنون وراوية لهاذي »

ثم يعود مرة أخرى فيسأل الناس :

« إن قيسا كامل في عقله أو آنستم على قيس الحنون ؟ »

فيجيبه الناس مقسمين : « لا ورب البيت »

وتراه في مرة ثالثة حائرا في أمر قيس يتحدث عنه فيقول :

« نشرد مستعظما في الملاد وجن فما ازداد الا نهى »

بل مالى استشير لك خصوم قيس في عقل قيس ، اليك ليلي

نفسها ، إنها في موضع واحد تقرر من عقل قيس ما يقرر الناس ،

وتنفي عنه ما ينفون وتحار فيه كما يحارون إذ تقول :

« وقيس ذو حنة وإن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا »

« تحير الناس في جنون قتي لا عقل الا بشعره ولعا »

وهذا قيس كذلك يقول مرة :

« من مبلغ أمى الحزينة أن عطفى اليوم ثاب »

وفى مرة أخرى يقول :

« عساهم لا يقولون فتى مشترك اللب »

وفى موضع آخر يقول ويحار فى أمر نفسه كما يحار فيه الناس :

« ليلى نداء بليلى رن فى أذى »

« ليلى لعلى مجنون ينجيل لى لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

بعد تلك الإشارة نظر المؤلف الى ما يصدر عن قيس من أفعال

وأعمال

فى الفصل الأول أغمى على قيس بين يدى ليلاه مرة ، فى لحظة

تخرجها خشية الأب ، ولذعة النار ولقاء الحبيب فى معزل . . . وقبل

هذا الاغماء كان قيس يتحدث ليلى حديث العاشق العاقل ،

فأحس أن عينيه قد عامتا ، وأن ساقيه لا تحملان جسده ، ثم أخذته

الغيبوبة فظل أسيرها لحظات حتى أفاق

« كالقنن الداوى نحولا وكالمعيب اصفراراً »

فاذا صحا عاد فتحدث الى المهدي حديث العاقل وجادله جدال
 العاقل لا يكدر صفاء عقله وسواس من وسواس الجنون
 وفي الفصل الثاني أعمى على قيس للمرة الثانية ، في لحظة حرجة
 أخرى ، أخرجتها لوعة الذكرى كما أخرجها عذاب النفس ، كما
 أخرجها نعي الصغار . . . وقبل هذا الاغماء كذلك كان قيس يحدث
 نفسه حديث العاقل ، يقدر الاساءة اليه ، ويقدر شخص المسيء ،
 ويعفو عن هذه الاساءة كما يعفو العاقل العفور الرحيم .

« قيس لا - سامح صغاراً لا يحسون الخطيئة »
 « انهم فيما أتوه يبعات بريئة »
 « لقنوها كلمات نزهات أو بذية »

ثم تأخذه الغيبوبة فينسى ما حوله ، ويطل أسيرها لحظات
 حتى يفيق منها فيتحدث عن هواه حديث الحب العاقل يسمع اسم
 ليلي على ألسنة الناس ويمار ويناقش ويحيل اليه عند ما ينتهي رنين
 الصوت في أذنه ، أر هذا الصوت لم يكن إلا هذيان اغماء

« ليلي »

« هل المنادون أهلوها وإحوتها أم المنادون عشاق معاميد »
 « إن يشركوني في ليلي فلا رجعت جبال نجد لهم صوتا ولا اليد »
 « أغير ليلاي نادوا أم مها هتفوا فداء ليلي الليالي الخرد الغيد »
 « »

« ليلي لعل مجنون يخيّل لي لا الحى نادوا على ليلي ولا نودوا »

وفي الفصل الثالث يغمى على قيس للمرة الثالثة ، في لحظة أخرى أخرجتها خشية الموت وخشية القتل . . . وقيل هذه العيوبة كذلك كان قيس يباحى ليلي وحيّها مناجاة العاقل ويقرر وينفي ويناقش في منطق سليم ، ثم تدركه النوبة ويعوده الاغماء ، وقبيل أن يتمكن منه يرى ما لا يراه الناس في حى ليلي ، يراها هي ولا يحقق غيرها وإن كثر لدى حماها السواد ، وما في حى ليلي سوى سيوف مسالوة وأسود مغضبه ، تترقبه لتشرب من دمه وتنتقم منه لقداسة التقاليد ، ثم « يتصالح ويصفر به مثل الجرادة » ويكاد يهوى إلى الأرض فيتلقيها زياد ، وتأخذه العيوبة المعهودة ولا نستطيع أن نتعقبه عند ما يفيق

ثم يكون الفصل الرابع فترى قيسا على مقربة من دار ليلي

وحيا الجديد ، وفي لحظة لا بد أن تكون هي الأخرى كأخواتها
حرجة ، يخرجها الجهد والتعاسة ووعناء السفر ، وتوقع لقاء الحبيب ،
نراه يتصور صورا لا يمكن أن تخطر في خيال عاقل ، فهو يرى الجن
ويصفهم ويتحدث معهم ، ويقول لأحدهم :

« ما أنت إلا صورة في عصبى مصوره »

« وعبث لو كان عقلى حاضرا لأنكره »

ثم يسترد عقله الكامل بعد هذه الأزمة الحرجة فيناجز غريمه
في لىل مناخزة العاقل ، ويتهم عليه تهكم العاقل ، ويناقشه مناقشة
العاقل ، ويفار منه غيره العاقل ، ثم يسلمه غريمه الى ليلاه ، فاذا
حديثه اليها حديث العاقل كذلك ، وادا نجواه منها في دائرة المنطق
السليم ، وإذا غيرته كذلك وغضبه وكل ما يفعل لا تصدر الا عن
محب عاقل غيور

ثم يكون احتضاره في الفصل الخامس ، حيث يسمع مالا يسمع
الناس ويرى مالا يرى الناس وما يعيننا هذا الاحتضار أن يعقل فيه
أولا يعقل ، فقد يهذى كل محتضر ويخلط ، وحسبنا مادة للبحث

تلك الفترات القصار التي كانت تتصع قيس وعقله الى مكان بين بين،
لا هو من الموت ولا هو من الحياة

أية صورة من صور العافية أو أية صورة من صور الجنون الذي
يعتاد سواد الناس ، تستطيع أن تعطى حيرة الناس في أمر قيس ،
وحيرته في أمر نفسه ، وتلك الأدوار المتناقضة في هذه الحياة المضطربة
صحو يكون العقل والحواس والحركات فيه أصفى وأسلم ما تكون
العقول والحواس والحركات ، ثم غيبوبة يختلط فيها العقل وتنطلق
الحواس وتنشل الحركات ، ثم كذلك دواليك حتى تنطفئ هذه
الحياه ؟ ؟

لاشئ من صور الصحة ولاشئ من صور الجنون ، يستطيع
أن يغطي هذه الطواهر ، انما الذي يعطيها ويشتملها جميعاً هو المرض
والمرض أنواع .

قيس إذن في نظر المؤلف رجل عاقل مريض ، بالغ الهوى له
في وطأة الداء ، وليس ضلال الناس فيه ، وليس ضلاله في نفسه إلا
جهلا بهذا الداء كيف يكون ، وتسمية له بأقرب الأسماء اتصالاً بهذه

الحياة المضطربة ، في رأس هذا البدوى الجاهل بضروب العلل والأدواء ، وأى الأسماء في هذا الرأس أقرب اتصالا بهذه الحياة من ذلك الاسم القديم المعروف . . . الجنون ؟ ؟ كما أن صغفه وهزاله كما يبدو لك — أظهر ما يبدو ان — في قوله عن نفسه :

« أنا الميت يا بشر وإن أخر تكفىي »

ليس هذا الصعف والهزال الا مزيجاً من وقدة العاطفة ورمنة الداء ومن السهل بعد هذا أن تتعقب أحلاق قبس في الرواية ، إباءه وعرفته ، ورفعته وسماخته ، وأثرته وعيرته ، ولست كلها إلا صورة لأحلاق شاعر محب مريض .

ليلى

تلخص حياة ليلى وحها في هذه الكلمات :

« أنا بين اثنتين كلتاها النار »

« بين حرصى على قداسة عرمى واحتفاظى بمن أحب وصنى »

فأما أنها كانت تحب قيساً فقد ظلت تعترف بهذا الحب طول

الرواية تارة بينها وبين قيس ، وتارة أخرى بينها وبين الناس ، وأما أنها كانت تحمل من هواها ما يحمل قيس من هواه ، وتصون منه ما يصون ، وهي وإن ألحت في التصريح به ، فقد كان سلطان التقاليد البدوية عليها أقوى من سلطان هذا الغرام ، وقد رضيت أن تقتل نفسها وتقتل هواها وتخب في قيس شفاعة الشافعين حرصاً على حرمة هذه التقاليد

ولقد تختلط هذه الحقيقة المؤكدة بكلمة نطقت بها ليلي ، إذ يقول لها أبوها وقيس مغمى عليه في داره ، وليلي تستنصر له وتستغيث « يرانا الناس ياليلي » فتجيبه « أب أنف الناس من فكرك » كذلك تمدو ليلي كأنما تحتقر الناس وما يقولون ، لكنها لا تلبث أن تستدرك هذه العثرة فتقول ، وتحشى من سلطان التقاليد ما كانت دائماً تحشاه :

« هنا لا تقع العين على غيري ولا غيرك ! »

والى جانب هذا الحرص على كرامة التقاليد منحها المؤلف قوة في الرأي وعناداً فيه ، قد يكونان أثر هذا الحرص في نفسها وتراها حيث يقول عنها قائل :

« أراها وان لم تخط الشباب عجوزا على الرأي. لا تغلب. »

وحيث يستغل أبوها في نفسها هذه القوة ، فيدارى ابن عوف على حسابها ، ويطلق لابنته الحرية أن تتزوج من قيس أو من سواه ، وهو مؤمن كل الإيمان بقرارها الأخير . وحيث يستغل زوجها ورد في نفسها هذه القوة كذلك فيفتح بيته لغريمه راضياً ، ويترك شرفه تحت رحمة هذا الغريم راضياً ، وهو موقن كل اليقين أن شرفه — ومن دونه هذه القوة — مصون لا يخشى عليه عدوان . وحيث تبرهن ليلي على هذه القوة السكامة في نفسها برهاناً قوياً في آخر مواقفها وقيس ، ترى فيه مورد الهوى صافياً ممهد السيل ، ثم تأناه على نفسها ، وتموت عطشى حرصاً على العرض والشرف وكرامة التقاليد .

المهـدى

هذا الرجل طريدة أخرى من طرائد التقاليد البدوية في هذه الرواية ، لكن طاعته إياها رريئة لا تعرف العنف ، طاعة تخفف منها عاطفة الحنان على ابنته إذ يقول :

« أخاف الناس في أمرى وأخشى الناس في أمرك »
 « وكم داريت يا ليلي وكم مهدت من عذرك »
 وعاطفة الرفق بشاب من ذويه زلت به هذه التقاليد إذ يقول :
 « دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أنت نراه يسيل »



مطبعة معمر بن عبد الله بن قيس

١٠٠٠٠ / ٣١ / ١٩١٦
